www.rewity.com
^RAYAHEEN^

روايات أحلام

أحزان البنفسج

www.rewity.com

روايات احلام

أحزان البنفسج

هل هو قطار الحب ما صدم قلب روندا بهذه القوة؟ وهل هي ساذجة الى حد أن تقع فريسة مشاعر عاصفة تجاه رجل مجهول، من النظرة الأولى؟...

أدركت روندا رغم ما يحدث لعواطفهاان عليها أن تقاوم بشراسة جاذبية درو ماتيوز المخيفة...

- لماذا أنت خائفة مني؟

- لست خائفة... إنني أكرهك... دعني وشأني فلا أريد علاقة مع رجل متزوج...

- وهل تستطيعين أن تقاومي؟

بالتأكيد يمكنها أن تقاوم... ليست روندا إحدى معجباته الحمقاوات، ولن تترك الكاتب الشهير يسقطها في حبائله... ثم لماذا يلاحقها بهذا الإصرار، وعنده صديقته الفاتنة إيفا بلانكان فضلاً عن زوجته البعيدة؟...

١ ـ دعوة مرفوضة

نظرت روندا إلى ساعة معصمها. إنها الواحدة والاثنتان وثلاثين دقيقة.. وشيلي تأخرت أكثر من نصف ساعة.. تنهدت وطلبت كوباً آخر من العصير، وهي تتساءل ما الذي حدث لصديقتها.. فهي في العادة دقيقة جداً في مواعيدها.

جالت عيناها في الغرفة شاردة، وهي ترتشف كوبها. كان المطعم مزدحماً نوعاً ما برواد الغداء، رجال أعمال شاحبو الوجوه في بذلات سوداء يتحدثون بحرارة، ونساء أنيقات يرتدين أجمل الملابس متبرجات، يوزعن الابتسامات ويضحكن بمرح.

راقبت روندا الجميع، عيناها البنفسجيتان حدقتا في كل التفاصيل، في حركات الأيدي الممتلئة بالحلى وفي الوجوه الحمراء تخزن الصور آلياً في ذهنها، لتعود إليها لو أرادت الاستعانة بها في رسوماتها التعبيرية، وعادت لتنظر إلى الباب، لا أثر لشيلي.. ولمحت خلفها نحو اليسار، زوجين يجلسان.

كانت المرأة رائعة الجمال، ذات بشرة سمراء مكتسبة، وقوام ممتلىء جميل، ترتدي بذلة حمراء داكنة، تنسجم مع جمالها وتزيد من جمال شعرها الذي كان يلمع بلونه الأصهب. لكن هذا لم يأخذ بتفكيرها، إنما جذب اهتمام روندا ذلك الرجل الذي كان يبتسم لمرافقته ابتسامة جميلة.. وحدقت به روندا. لسبب ما لم تكن قادرة

أن تمنع عينيها عن النظر إلى طلته، وللحظات عاصفة تصورت نفسها معه، يعدها بالسعادة. هزت رأسها لتعيد أفكارها الحالمة إلى الواقع، وقد أذهلتها هذه الأفكار.. لكن عينيها لم تتركاه. كان الرجل الوحيد في المطعم الذي لا يرتدي بذلة.. لكن ملابسه الحديثة والأنيقة حجبت غيره من الرجال في ذلك المكان وجعلتهم يبدون متصنعين، مبالغين في التأنق، وعاديين ومملين.

تراه من يكون ذو الشعر الأسود الكثيف اللامع تحت الأضواء؟ كان وجهه قاسي التعابير، شرس الملامح، زادته جاذبية بعض الخطوط في زوايا فمه.

وكأنما أحس بنظراتها إليه، فأدار رأسه نحوها بسرعة، والتقت عيونهما.. بدا لروندا أن قلبها توقف عن الخفقان فجأة وهي تنظر إلى عينيه الباردتين الرماديتين الضيقتين. أحست بالحرج والارتباك الشديدين، لكنها لم تستطع أن تمنع التواصل. كان الغموض يلف تلك العيون الرمادية فيجعلها عسيرة القراءة، ذكية حتى المكر، ابتسما وهما ينظران إلى بعضهما.

لململت أشلاء إرادتها المبعثرة، وبوجه شديد الاحمرار أشاحت بعينيها بعيداً عن نظرته، لا تجد جواباً عن ذلك الضيق الذي يختلج في صدرها، فهي لم تنظر إلى رجل من قبل وانتابتها مثل تلك الأحاسيس.

شعرت بارتياح كبير وهي ترى شيلي تسرع نحو طاولتها.. رفعت روندا شعرها الذهبي تحاول الابتسام. كان الرجل لا يزال ينظر إليها، وخالجها شعور وكأن تلك العينين الرماديتين تحرقانها، وكان من الصعب أن تبتسم حتى لشيلي، صديقتها الحميمة.

ـ أنتِ...

ـ أعرف.

قاطعتها شيلي دون أن تعطيها فرصة لإكمال سؤالها، وتابعت:

ـ لا أستطيع أن أصدق كم لزمني من وقت! المحامون كانوا بطيئين، وأحسست برغبة في الصراخ بعد تركي مكتب المحامي.. ثم زحام السير.. أنا آسفة.

كانت مبهورة الأنفاس، قلقة، وكانت عيناها حمراوين متورمتين. ابتسمت روندا لها بإشفاق:

ـ لا يهم.. حقيقة. كنت أراقب الجميع هنا وأنا أنتظرك وأثار هذا اهتمامي كثيراً.. ماذا تشربين؟

ـ أريد شيئاً منعشاً، ليمونادة مع الصودا.

رفعت روندا حاجبيها.. وسألت بلطف:

ـ أكان الأمر سيئاً إلى هذا الحد؟

ردت الصديقة بصوت أجش:

ـ بل أسوأ بكثير.

قطبت روندا حاجبيها وهي تشير إلى الساقي وتطلب منه الليمونادة بالصودا.

ـ أيمكنك إخباري بما جرى؟

ـ لا أظنني قادرة الآن! لا أريد أن أنهار وأبدو سخيفة للجميع.

حتى وهي تتكلم، تهدّج صوتها بضعف.. فلمست روندا يدها مطمئنة:

ـ لا بأس.. إذا احتجت لمن تتكلمين معه فسأسمعك في أي وقت.

مسحت شيلي عينيها تحاول السيطرة على نفسها:

ـ شكراً حبيبتي.. وأنا آسفة لكل هذا..

ـ لا داعي للشكر.. هل نطلب الطعام أم أنك فقدت شهيتك؟

وتساءلت روندا ما إذا كان الرجل الرمادي العينين لا يزال

www.rewity.com

ورائها.. واعترفت شيلي:

ـ لا أستطيع أن آكل شيئاً.. الأمر سخيف جداً! فأنا أعرف أكثر من غيري أن الزواج انتهى.. وكنت أريد الطلاق، لكن لماذا أنا منقبضة هكذا.. اللعنة؟ لكن أنت يجب أن تأكلي، لا تدعيني أمنعك عن الطعام.

قالت روندا:

ـ أنا لست جائعة أبداً.. ربما بسبب الفطور الضخم الذي تناولته.

وأدارت رأسها لترى ما إذا كان الرجل ذو الشعر الأسود، لا زال في المطعم.. وضحكت شيلي:

ـ هذا يجعلنا اثنتين.. هل يمكنني أن أطلب شراباً الآن؟ يمكننا أن نبقى هنا طوال بعد الظهر.

ضحكت روندا بدورها:

ـ على الأرجح أنهم سيرموننا إلى الخارج حين يدركون أننا لن نطلب الطعام.

كانت قلقة على شيلي الحزينة والمتوترة، حاولت إخفاء مشاعرها وقلقها أيضاً حول ردة فعلها لذلك الرجل الغريب الذي أثّر فيها مجرد النظر إليه وهذا ما لم يحدث لها من قبل.. كان من الممكن أن تشعر بارتياح لأنها لن تراه مجدداً، الأمر الذي لم يحدث، على العكس أحست بألم غامض في صدرها.. ووبخت نفسها بحدّة: حمقاء.. ربما هذا تأثير المعدة الفارغة على الدماغ.. لكن، مهما حاولت أن تقنع نفسها كان ذلك الإحساس المثير للاضطراب لا يفارقها، وهي تتحدث بخفة إلى شيلي.

كانت تفتش في حقيبتها عن علبة السكائر، ولم تنتبه لذلك الظل الطويل الذي خيّم عليها، رفعت نظرها فشعرت وكأن قلبها قفز من

مكانه وهي تراه يقف عند طاولتهما.

كان يبتسم لشيلي قائلاً:

ـ مرحباً شيلي.

ـ درو.. ! ما أروع أن أراك.. لم أكن أعلم أنك عدت.

أمسك الرجل، أو «درو» كما أسمته بيدي شيلي ورد مبتسماً:

ـ رائع أن أراك.. لقد بدأت أظن أنك تتجاهلينني.

صاحت شيلي بفزع:

ـ لم أرك! لقد تأخرت عن موعدي كثيراً، لأنني مضطربة البال.

ضحك، وهو يهز رأسه الأسود الشعر، مازحاً: لا عليك..

أصغت روندا إليهما يتبادلان الحديث اللطيف، وهي غير قادرة على منع نفسها من التحديق به.. كان طوله يزيد عن المئة وثمانين سنتمتراً، مفتول العضلات، رشيق القامة رشاقة ذكّرتها بفهد متوحش.. أحست بضعف يضعضع كيانها.. وحبست أنفاسها في صدرها وهو يستدير فجأة لينظر إليها نظرة قاسية فأحنت رأسها لتخفي ذلك اللون الملتهب الذي ربما صبغ وجهها.

قامت شيلي بالتعارف:

ـ درو، هذه روندا كروس.. صديقتي وزميلتي في العمل. روندا هذا درو ماتيوز.

أعادت روندا النظر إليه وهو يطبق على يدها بيده بلطف، يعطي الانطباع بالقوة المكبوتة.

همس: آنسة كروس.

ـ كيف حالك سيد ماتيوز.

ترك يدها.. فأحنت رأسها مرة أخرى، ووجهها لا يزال شديد الحمرة. ولم تلتفت إليه مجدداً وهو يقدم تلك السيدة الواقفة إلى جانبه باسم إيفا بلانكان، التي كانت ابتسامتها ودية ساحرة، عدائية

قليلاً وواضح من لكنتها أنها فرنسية.

نظرت روندا إلى إيڤا بلانكان، تلف يدها الملوّنة الأظافر حول ذراع درو شيلي، وأصابعها الطويلة السمراء تتحسس قماش سترته الفاخر وكأنها إشارة تحذير واضحة وخبيثة للمرأتين الجالستين على الطاولة، تعني بأن درو ماتيوز لها لوحدها.. فهل هي صديقته المقربة؟ هذا محتمل جداً. ولن يكون أبداً مهتماً بفتاة خرقاء في الثانية والعشرين من عمرها، مثلها.

بينما كان يتأهب للرحيل، أحست بعينيه تركزان عليها مجدداً.. ووجدت نفسها مجبرة على النظر إليه والابتسام له وهي تودعه متمتمة.

لم يردّ ابتسامتها، بل نظر إليها متفرساً، وأحست بشخصيته القوية الجامدة وبشيء آخر لم تعرفه، شيء مفاجيء وعنيف. أشاحت بعينيها عنه وهي تشعر بقلبها يخفق بسرعة، وابتسمت لإيڤا بلانكان التي ردّت الابتسام. وابتعدا، شخصان يتمتعان بطول رائع وطلة تدير الرؤوس وهما يسيران عبر المطعم المزدحم.. ولم تنظر إليهما روندا، فهي لا تريده أن يرحل ولا أن تراقبه وهو يخرج مع إيڤا بلانكان.

كانت حياة شيلي مضطربة في السنة والنصف الماضية بسبب تحطّم حياتها الزوجية.. والرجال لم يكن لهم وجود قوي في أي حديث لها.. كانت قد سئمت منهم كلهم سواء! هكذا كانت غالباً ما تقول لروندا، التي كانت لا توافقها القول وإن كانت تقدر وضعها الصعب لكنها كانت تأمل أن لا تدمر المرارة حياة صديقتها طويلاً.

قالت شيلي بعينين حالمتين:

ـ درو ماتيوز.. تصوري أن أراه مرة أخرى.. إنه لا يتغير.. أوليست من معه جميلة؟

لم تستطع روندا إخفاء فضولها: من هو؟

ـ درو ماتيوز.. الكاتب الشهير.. لا شك أنك سمعت عنه!

بالطبع سمعت عنه! إنه معروف جداً.. لكنها كانت مصدومة بالرجل دون التفكير كثيراً باسمه.

ـ وكيف تعرفينه؟

رفعت شيلي حاجبيها:

ـ لا يعجبني ما يعنيه هذا السؤال؟

ـ تعرفين ما أعني.. أسألك كيف فقط؟

ضحكت الفتاتان، واسترسلت بالكلام:

ـ كان مدرّبي في مدرسة الدراما لستة أشهر. كان يومها لا يزال ممثلاً، وساعدني كثيراً. أذكر أنه كان مدرباً ممتازاً. ثم بعد سنتين، شاركت بمسرحية معه.. لم نكن صديقين فعلاً، لكننا كنا نلتقي بين حين وآخر.

تقبلت روندا المعلومات بحذر. كانت قد نسيت أن شيلي كانت ممثلة قبل أن تنجب أولادها.

ـ أتعرفين الآنسة بلانكان؟

هزت شيلي رأسها:

ـ لا.. رغم أنها جميلة.. درو لم يفتقد يوماً صحبة الجميلات. حتى قبل أن يصبح مشهوراً، كانت النساء يتهافتن للوصول إليه.

ـ وأنت؟

سألت روندا وهي تدعو السماء أن تنفي صديقتها ذلك وهذا ما كان.

ـ لم أستطع يوماً تخطي المرحلة الأولى.. فهو لم يهتم بي..

ولمعت عينا شيلي:

www.rewity.com

ـ لكن لِمَ كل هذه الأسئلة؟

ولم تستطع روندا إخفاء حمرة وجهها فلاحظت شيلي:

ـ آه.. هكذا إذن.. لا ألومك، إنه رائع.

ـ وكذلك إيڤا بلانكان.. ماذا تعرفين عنه بعد؟ من أين عاد؟

قالت شيلي بصوت منخفض:

ـ فلتذهب إيڤا بلانكان إلى الجحيم.. سمعت أنه كان في فرنسا وقد تعرضت زوجته إلى حادث أثناء التزلج.. كما أظن..

لكن روندا كانت قد تجمدت عند صوت شيلي مردداً «زوجته».. رنّت الكلمة مدوية ومؤلمة في رأسها، كيف يؤثر بتفكيرها إلى هذا الحد؟ غريب أمرها ماذا تتوقع؟ أيمكن لرجل مثله أن يكون حراً؟

ـ زوجته؟

بالكاد تمتمت بالسؤال، لكن شيلي سمعته فوراً:

ـ أجل.. إنه متزوج، وقد سمعت، وهناك الكثير من الشائعات حول الأمر، أن هذا الزواج انتهى أمره حقاً، ومنذ سنوات طويلة.

سألت روندا مخدرة الحس:

ـ ولماذا لم ينطلقا؟

ـ هذا ما لا أعرفه.. روندا.. هل حدث لك شيء؟

هزت روندا رأسها أمام قلق شيلي وفكرها يدور حول ما قالته لها.. إنها تعتقد أن زواجه انتهى.. مع ذلك فهو غير مطلق، ولقد عاد لتوه من زيارة لزوجته في فرنسا. إضافة إلى كل هذا، هناك إيڤا بلانكان التي توحي بأشياء حميمة معه.

ابتسمت لشيلي وهمست:

ـ أظن الوقت قد حان لنذهب إذا كنا لن نطلب الطعام.

وانهارتا ضاحكتين ما إن أصبحتا في الخارج. وقالت شيلي

ضاحكة:

ـ ظننته سيعدمنا مع مطلع الفجر.. هل رأيت النظرة على وجهه؟

لم تكونا قادرتين على السيطرة على ضحكهما، وتساءلت روندا عن نوعية هذه الهستيريا في ضحكهما.

تمتمت شيلي:

ـ لن يطول الأمر بنا على هذه الحال حتى تعرفنا كل مطاعم لندن ولن نستطيع الدخول إلى أحد منها ثانية.

وانفجرنا مجدداً بالضحك.

أخيراً توقفتا عن الضحك وهما تسيران في الشوارع المكتظة. كانت مغبرة ومزدحمة بالناس والسيارات، نظرت روندا إلى السماء الزرقاء الدافئة. لم تستطع رؤية سوى جزء بسيط منها، أما الباقي فتحجبه عن الأنظار تلك الأبنية المتلاصقة المغبرة.. فجأة، أحست برغبة في الخروج من المدينة.. والذهاب إلى أي مكان تستطيع فيه رؤية الأفق.

سألت:

ـ ماذا ستفعلين بعد الظهر؟

ـ سأعود إلى البيت لرؤية الأولاد.. ولديّ الكثير من الموضوعات للتفكير بها.

أحست روندا بالأسى للحزن في وجه شيلي: بالطبع.

ـ لست في مزاج للعمل اليوم.. هل يمكن تأجيله إلى الغد؟

ـ هذا يناسبني تماماً.. إنه يوم رائع لن أقضيه في العمل.. سأتصل بك صباح الغد لنفكر معاً بكل شيء.

وصعدتا سيارة شيلي الصفراء الصغيرة.

ـ أنا آسفة روندا.. لم أقصد أن أزعجك.. أيمكنني إيصالك؟

ـ لا.. أفضل أن أسير.. ولا تكوني سخيفة، لست مصدر إزعاج لي.. أراك غداً.

مقابلة شيلي للمحامين، صدمتها كما يبدو.. لكن روندا لم تكن تعرف ما تفعل لمساعدتها.. شيلي تحتاج أن تكون لوحدها لتفكر، وتصل إلى حل.. لقد كانت وزوجها «براد» سعيدين جداً معاً حين التقتهما روندا أول مرة. ماغي كانت مولودة حديثاً، وكانت تبدو عائلة مكتملة. والآن أصبح زواجهما مدمراً وبراد يعيش مع سكرتيرته، وشيلي تعيش لوحدها، كلاهما ينتظر الطلاق الذي سيحررهما من بعضهما. كل هذا كان محبطاً وبائساً، ولا يتناسب أبداً مع أفكار روندا الرومانسية عن الحب.

ثم ما لبثت روندا أن وجدت نفسها دون تفكير تتجول في الشوارع الخلفية الصغيرة، إلى أن وصلت إلى محل صغير لبيع التحف كانت تمرّ به كل يوم تقريباً، ونظرت إلى الواجهة بلهفة.. إنها لم تُبع.. لا زالت تلمع تحت أشعة الشمس. إنها العلبة الفنية الصنع المزينة بالجواهر، من الفن الحديث، كانت تأتي كل يوم تقف لتمنى النفس لو تملكها.. لكنها كانت تعلم أنها لن تتمكن من تحمل ثمنها.. فهي قطعة جميلة جداً، ولا شك أنها ستباع بسرعة.. كانت عيناها مشدودتين إليها كالمسحورة.. منذ اليوم الأول الذي وقعت فيه عيناها عليها لاحظت الحرفين الأولين «ر. ك» محفورين على الغطاء، وهي واثقة أنها يوماً ما سوف تمر من هنا، وتجد الواجهة فارغة من العلبة..

قاطعها صوت بارد خافت من خلفها:

ـ جميلة.. أليست كذلك؟

صوته هزّ مشاعرها.. فاستدارت مجفلة، متسعة العينين، لتجد درو ماتيوز ينظر إليها وهو يبتسم. ولم يكن هناك أثر لإيقا بلاتكان

معه.

قالت متلعثمة:

ـ أنا.. أستميحك عذراً؟

ـ العلبة الفضية.

قالت متنهدة:

ـ أوه.. أجل. إنها جميلة جداً.. ولكن هل تتبعني؟

ابتسم:

ـ ولماذا أتبعك؟

سألته بهدوء:

ـ أتعرف شيئاً عنها؟

ـ نعم.

وتقدم إلى جانبها.

لم تنظر إليه. قالت بحزن:

ـ أظنها أجمل علبة في العالم.

ضحك درو ماتيوز بلطف:

ـ أتريدينها؟

امتدّت يدها نحوه، والتقت عيونهما لحظات من الزمن، لكنها أطرقت تنظر بغير ارتياح.. هل الأمر كما يبدو، أم أنه يريد أن يشتري الصندوق لها؟ ولماذا يشتريه لها؟

قالت، وقد تسمرت في مكانها دون حراك لقربه منها وقوة جاذبيته: لست أفهم.

ـ إنه سؤال صريح.

ردت باختصار:

ـ أجل.. أريدها. ولو عذرتني سيد ماتيوز..

أرادت أن تبتعد.. أحست فجأة أنها غير قادرة على الفهم، فهو

متزوج وهذا واقع يجعله صعب المنال قطعاً.. لكن قبل أن تتمكن من التحرك، مد يده يرفع وجهها الشاحب بأصابع حازمة لطيفة، ويقول بلطف:

ـ لقد أغضبتك.. إنني آسف.. كنت أخرقاً في محاولتي استعجال الأمور.. على ما أعتقد..

ابتسم، عيناه الساحرتان قادرتان على الإقناع:

ـ أتتناولين العشاء معي هذه الليلة.. كنوع من تسوية الأمور والتعويض؟

طار قلبها فرحاً لدعوته. كانت قوة جاذبيته أقوى من أن تقاوم، حتى تذكرت زوجته.. وكأنما هذا لا يكفي فتذكرت إيفا بلانكان، فاستعادت إرادتها:

ـ لا.. شكراً لك سيد ماتيوز.

ـ خجولة جداً، وجديّة أكثر مما يجب. أعيدي النظر في رأيك روندا، فمن يعلم.. قد تتمنعين بوقتك.

رفعت عينيها البنفسجيتين المذهولتين إلى وجهه مرددة:

ـ قلت لك لا، وأعني لا سيد ماتيوز.. أرجوك دعني أذهب!

أنزل يده فوراً، وقطب حاجبيه الأسودين:

ـ كما تشائين!

بدا وكأنه سيقول شيئاً، لكنها لم تنتظر لتسمع، بل استدارت مبتعدة عنه دون أن تودعه. استرقت النظر إليه مرة أو مرتين وهي تتجه إلى منزلها، ولم تجد له أثراً.

كان من الممكن أن توافق على تناول العشاء معه، ولم تكن لتشك أنه سيجعلها بسهولة تنسى أنه متزوج.. وبينما الآن ستصل إلى منزلها يبدو النهار طويلاً جداً، والوقت لا زال في منتصف بعد الظهر.

كان المنزل عبارة عن مخزن ضخم في ضاحية تشيلسي، حوّل إلى شقتين، في كل منهما مرسم وغرفة عمل.. الطابق الأرضي يحتله نينو فلديني مالك المبنى، شاب فنان موهوب، يكسب معظم قوته من رسم الإعلانات، وصديق طيب لروندا التي تسكن الشقة فوق نينو. ومع زيادة دخلها استطاعت روندا الاحتفاظ بالشقة رغم أنها كانت مكلفة ولكنها تستحق، لأنها مناسبة وتقع في وسط المدينة، كبيرة وواسعة، وتتمتع فيها بحرية العيش لوحدها.

ودخلت بارتياح.. أخيراً البيت! كان نينو يعمل في الردهة الضخمة يرسم لوحة جدارية ضخمة على أحد الجدران.. ابتسم لها، ثم لاحظ جو القلق والإنهاك فوضع فرشاته، ومسح يديه متجهاً إلى حيث هي تقلب بريدها بغير تركيز.

قال لها باهتمام:

ـ تبدين قلقة طفلتي.

شمخت بأنفها، وأجابت مبتسمة:

ـ شديد الملاحظة.

ـ إذن إدعيني إلى فنجان قهوة وأخبريني ما حدث لك.

ـ لا بأس، إصعد.

داخل شقتها، دخلت المطبخ مباشرة لتشغل سخان المياه الكهربائي.. سألها نينو بلطف وهو يراقبها:

ـ ماذا جرى؟

ابتسمت له:

ـ أنا قلقة لأجل شيلي.. التقيتها على الغداء اليوم وكان مزاجها سيئاً.. سيكون الطلاق رهيباً بالنسبة لها، ولا أعرف كيف ستتخطى الأزمة.. لكن ما عساي أن أفعل لمساعدتها؟ هي لا تستطيع الكلام عن الأمر في الوقت الحاضر.

- إن وجودك معها حين تحتاجك هو أفضل ما تفعلين.

أخذ نينو صينية القهوة منها وذهبا معاً إلى غرفة الجلوس حيث المرسم.

صبت روندا القهوة بينما كان نينو ببطء وحذر يتفحص آخر رسوماتها التوضيحية.

في السنتين الأخيرتين كانت روندا تعمل مع شيلي في كتب الأطفال.. شيلي تكتبها وروندا تزينها برسوماتها التوضيحية.. شراكة ناجحة ممتازة. لم تكن روندا غنية لكنها كانت قادرة على تلبية حاجاتها الحياتية الضرورية.. ولم تكن لتفكر بمهنة أفضل من هذه.

قال نينو أخيراً:

- إنها جيدة.. قوية وجريئة.. تعجبني.

كانت تقدر جيداً تقييمه لها، وهي معجبة بموهبته:

- شكراً لك، تعال واجلس معي وأخبرني ما كان يحدث معك.

تحدّثا معاً طوال بعد الظهر.. وغادرها نينو في السابعة مستأذناً لتغيير ملابسه لموعد عشاء.. بقيت روندا وحدها فأرخت الستائر البنية السميكة، وأدارت جهاز التلفزيون، وراحت تحضر لنفسها قالب معجنات بالجبن.. لم تكن قادرة على التركيز على الشاشة أمامها، فقد سيطر وجه درو ماتيوز بقوة على ذهنها، بقامته الفارعة، وتعابير وجهه القاتمة، وبعينيه الرماديتين الساخرتين. حاولت طرده من مخيلتها والتفكير بشيء آخر.. لكن عبثاً. أخذت تجول في الغرفة بقلق تفكر به، تتذكر كل كلامه وتصرفاته.. ثم أنبت نفسها بصوت مرتفع، أطفأت الجهاز، وذهبت لتستحم. في حمامها الأخضر نظرت إلى المرآة، وبدت كالعادة طويلة نحيلة، بجسد رشيق وشعر أشقر كثيف يغطي كتفيها، ووجه صغير منمنم وعينين

بنفسجيتين قاتمتين وفم عريض لطيف... وأخذت تحدث نفسها وهي تنظر إلى شكلها: عادية، أنا لست مؤهلة لمنافسة إيڤا بلانكان.

هذه الفكرة جمّدتها.. إنها لا تريد المنافسة مع إيڤا بلانكان.. ودرو ماتيوز رجل متزوج، ومن المحتمل أن لا تراه مرة أخرى. استحمت بسرعة، ثم اتصلت بأمها وأبيها في نيويورك، حيث يعيشان بعد أن تقاعد والدها.. كانت بحاجة لأن تملأ وقتها، ومن الأفضل التحدث إليهما مجدداً، وسماع أخبارهما.

لقد انتقلا إلى أميركا مع أختها الكبرى التي تزوجت من رجل أعمال أميركي يعيش هناك بصورة دائمة..

كانت تزور أهلها باستمرار، لكنها أصبحت الآن واثقة أنها اتخذت القرار الصائب في البقاء في انكلترا.. نيويورك بلد رائع، لكن لزيارات صغيرة، أمّا فكرة العيش فيها طوال الوقت، فإنها كانت تثير فيها الرعب.. قالت لها أمها إنهما قد يعودان إلى انكلترا لقضاء الميلاد، وكان خبر قرب مجيئهما مفرحاً لها.

أعادت روندا السماعة إلى مكانها وهي لا تزال تشعر بالوحدة والانقطاع عن العالم.

وهي لا تزال قلقة، ذهبت إلى فراشها باكراً.. لكنها لم تنم، وبقيت مستلقية تحدق في الظلمة، تتساءل لماذا بحق السماء لا تستطع إبعاد درو ماتيوز عن تفكيرها.

ما الذي يجري لها؟

* * *

٢ ـ القلب الثرثار

استيقظت روندا في الصباح التالي متأخرة، بعد أن أمضت ليلة عصيبة لم تذق فيها طعم النوم.. شعرت بشرود واكتئاب. ارتدت ملابسها دون اهتمام: سروالاً من «الجينز» وسترة صوفية، ثم شربت كوبين من القهوة، وهي تحدّق خارج النافذة إلى الأمطار المنهمرة بغزارة، جو كئيب يلائم مزاجها.

لم تكن روندا تريد التحرك. لكن عليها مراجعة شيلي حول آخر أعمالهما، ولذلك اتصلت بها واتفقت معها على زيارتها في منزلها.. بدت شيلي بائسة كروندا، التي استطاعت سماع صراخ الولدين من بعيد، ووافقت على الزيارة فوراً. وبينما هي ترتدي سترتها قرع عليها نينو الباب ودخل فرحاً يحمل رزمة كبيرة ويضعها على المقعد الخمري قائلاً:

ـ لقد وصلتك هذه للتو.

أجابت روندا: شكراً نينو.

لم تستطع روندا أن تحرك حماسها بسبب مزاجها الحالي، إنها لفافة فيها أوراق رسم رقيقة من بائع الجملة، ووصولها ليس مدعاة سرور.

تقدم «نينو» منها، وأمسك يدها بيده:

ـ إيه روندا.. لم كل هذا الحزن؟

همست: لست أدري.

لكنها لم تكن صادقة تماماً.. فهي متأكدة أن لحزنها علاقة بدرو ماثيوز. تنهد نينو ووضع ذراعيه حولها مواسياً.. فاستراحت على كتفه، وأطلقت العنان لدموعها مطمئنة أنها لم تكن لوحدها. تركها تبكي إلى أن توقفت ثم مسح وجهها بمنديله، وسألها بابتسامة خفيفة: قهوة؟

هزت رأسها بالرفض:

ـ سأذهب إلى شيلي.. وعدتها أن أكون عندها قبل الظهر.

ـ سأوصلك إذن.

ـ ألست مشغولاً؟

ـ ليس هذا الصباح.

استغرقا نصف ساعة للوصول إلى منزل شيلي لشدة ازدحام السير. كانت فيها صامتة معظم الطريق تصغي إلى كلام نينو الذي كان من الواضح أنه يحاول تلطيف الأجواء.

تقدمت شيلي إلى الباب للقائهما وألحت على نينو بالدخول لشرب القهوة.. استغربت روندا الفوضى التي تعمّ المنزل، وأذهلها مظهر شيلي التعيس.

تسامر الثلاثة حول قهوتهم، ثم عرض نينو أن يأخذ الولدين إلى الحديقة العامة، فابتسمت روندا له شاكرة متأثرة بلطفه، ولعلمها أن شيلي تحتاج إلى بعض الهدوء. وغادر نينو مع الولدين في عاصفة من الصياح وصفق الأبواب.. بعد رحيلهم خيّم على البيت صمت بدا وكأنه يصمّ الآذان.

كانت شيلي مدمنة تدخين، وقبلت روندا سيكارة من صديقتها وهي تنظر إليها ترقب السواد تحت عينيها وشعرها البني الأشعث، وتلاحظ حركاتها المتوترة الفجائية.

www.new-yy.com

قالت بهدوء لأنها لا تريد أن تنفوه بكلمة خاطئة:

ـ شيلي.. ألا أستطيع المساعدة؟ ألا يمكنك التكلم في الأمر؟

عبثت أصابع شيلي بسرعة وعصبية، بقلادة فضية على عنقها وهي تنظر إلى خارج النافذة، ثم قالت بصوت منخفض:

ـ لست أدري ما يحصل لي.. لا أستطيع القيام بأعمالي اليومية ولا تدبير أمور الولدين.. وتبدو حياتي خراباً.

ـ ألا تريدين الطلاق؟

ـ بلى.. بالطبع أريده.. أنا لم أعد أحب براد إذا كان هذا ما تظنينه.. أوه.. لست أدري ما الأمر! أشعر وكأنني خذلت الجميع وليس تشارلز وماغي فقط، بل نفسي أيضاً.. ماذا أستطيع أن أقدم لهما وهما يكبران؟ بالتأكيد لا أستطيع تقديم أب لهما، أو حياة عائلية مستقرة.

اقتربت روندا إلى جانبها:

ـ أوه شيلي! سيستمران في رؤية براد، وحين ينضجا سيفهمان دون شك. ومن الأفضل لهما أن يتربيا في محيط سعيد معك لوحدك بدلاً من كليكما معاً، وأنتما غير قادرين على العيش معاً. لأن كل هذا الجدال والتوتر والمرارة، يضر بالأولاد أكثر من الطلاق.. أنت تفهمين ما أقول، أليس كذلك؟

استدارت شيلي عن النافذة:

ـ بلى.. وأنا شاكرة للمساعدة.. أعرف أن تفكيري ليس منطقياً الآن.. بسبب مزاجي السوداوي..

ثم تنهدت:

ـ كنت أظن أنني أحب براد، بل كنت واثقة أنني أحبه، لكن ماذا حدث لهذا؟ العادة أم السأم.. قد تنجرفين دون شعور.. ثم تستيقظين يوماً ما وقد انتهى الأمر، ولم يعد هناك سوى الاعتراف

ببعضكما، أو شيء من التعلق ربما.. أتصدقين.. لم أهتم حتى عندما علمت بأنه كان على علاقة بسكرتيرته.. أوه، غضبت في البداية، لكن حين راجعت ذلك الغضب وجدته مجرد كرامة مجروحة، وليس غيرة أو ألماً.. جنون.. أليس كذلك؟ أنا بحاجة للابتعاد عن هذا المنزل لفترة.. إنه يضيق أنفاسي.. وليس للأمر علاقة بزواجنا.. ففيه ذكريات كثيرة لا أرغب في استعادتها.

اهتزت روندا لما قالته شيلي، واقترحت:

ـ ربما يجب أن تبيعيه.

ـ لا أستطيع أن أفعل أي شيء إلى أن تنتهي كل الأمور القانونية.

ـ بإمكانك أن تأتي للسكن معي، فهناك مكان فسيح.

ـ أشكر دعوتك، كم أنا بحاجة لذلك. لكنني لا أستطيع أن أعرضك لهذا.. حقاً لا أستطيع.

ـ لن تسببي لي المتاعب أبداً.. وإلا ما كنت عرضت عليك.

ـ حسناً.. كي أكون صادقة معك إن المسألة لا تتعلق بالمنزل فقط.. بل بلندن.. أتعرفين ما أود القيام به صدقاً؟ أريد الابتعاد إلى الريف لشهر أو أكثر.. أن أبتعد كلياً.

ردت روندا بحزن:

ـ لا مانع عندي.. لقد كنت أفكر مؤخراً كم أن المدينة ملوثة وقابضة للصدر.. حتى أكاد لا أرى السماء.. يمكننا أن نرتب شيئاً ما معاً حين يكون تشارلز في إجازة، هذا إذا لم تمانعي في مجيئي معكم.

ـ فكرة عظيمة.. لكن لا أريدك أن تأتي معنا لمجرد أنك تشعرين بالقلق أو الحزن عليّ.

ردت روندا وقد ملأ درو ماتيوز أفكارها فجأة:

ـ إنني حزينة.. وأعتقد أن الوقت حان لنأخذ إجازة.

وتغير مزاج الفتاتين، فتناولتا فنجان قهوة آخر، ثم بدأتا بالعمل. إلى أن عاد نينو مع الولدين، كان الوقت قد تجاوز موعد الغداء. فأحضرت روندا الطعام للجميع.. أثناء تناول الطعام كانت روندا تراقب بمحبة نينو مع ولدي شيلي.. لقد أحبّاه على الفور، لديه طريقة خاصة معهما..

كانت روندا تغسل الصحون بعد الغداء، عندما جاء نينو إليها قائلاً:

ـ يجب أن أذهب حبيبتي، لدي اجتماع مع زبون. هل يمكنك العودة وحدك؟

ردت بلباقة:

ـ لست غبية نينو، أشكرك لأنك أوصلتني ولمساعدتك الولدين، ولكل شيء.

وعندما ودعها لاحظت أن عينيه اسودتا، وابتسامته قد اختفت فجأة فاستدارت إلى المغسلة مرتبكة.. ربّت على كتفها بصمت وغادر المطبخ. أكملت روندا عملها مقطبة الجبين، متسائلة عن معنى تلك النظرة التي ضبطتها على وجهه، وأحست بالتوتر. لكنها أقنعت نفسها أنها تتخيل، وجففت يديها وتوجهت إلى حيث شيلي.

صاح تشارلز وهو يقفز ويشد على ذراعها:

ـ لقد نسي نينو سترته.

قبل أن تفتح فمها لتعلق، رن جرس الباب فأمسكت بيده:

ـ لا شك أن هذا نينو وقد تذكر سترته.. دعنا نذهب ونرى.

ـ أيمكن أن أفتح الباب؟ هلا حملتني؟

ابتسمت روندا:

ـ بالطبع حبيبي.

كان صبياً قوياً ثقيلاً فبذلت كل قوتها لتحمله.. وانفتح الباب

وكلاهما يضحك.

ـ لقد اعتقدنا..

ماتت الكلمات على شفتيها، وغابت ضحكتها وهي تحدق إلى وجه درو ماتيوز الفاتن.

وصاح تشارلز بصوت مرتفع:

ـ أنت لست نينو!

رسم ابتسامة خفيفة على وجهه:

ـ لا.. أنا لست نينو.

حدق تشارلز إليه: من أنت إذن؟

ـ أنا درو.. ولا شك أنك تشارلز.

ـ أجل.. أنا تشارلز.

لم تعد روندا قادرة على الاستمرار في حمله، فأنزلته إلى الأرض ليجري إلى داخل المنزل صائحاً:

ـ درو.. درو.. درو!

كتمت روندا ابتسامتها ورفعت عينيها البنفسجيتين إلى وجه درو ماتيوز. كانت عيناه الضيقتان تدوران عليها، تستوعبان شعرها المشعث ووجهها الصغير الخالي من الماكياج، وبنطلونها الجينز.. وأحست بنفسها تحمرّ خجلاً أمام نظراته الفاحصة وأسبلت جفنيها.. فسأل بنعومة:

ـ أليست شيلي هنا؟

كان في لهجته شيء من السخرية وأدركت أنها لم تفسح له في الدخول:

ـ أنا.. أنا آسفة سيد ماتيوز.. شيلي في غرفة الجلوس.. أدخل..

ـ شكراً لك.. كيف حالك آنسة كروس؟

ـ بخير، شكراً لك سيد ماتيوز.

لامت قلبها الخافق بسرعة، وفمها الذي جفّ. وردّ بجدية:

ـ أنا مسرور لهذا.

قالت يائسة:

ـ أرجوك.. لا تسخر مني.

وأدركت وهي تنطق بالكلمات أنها سخيفة.. تنهد درو ماتيوز واشتد سواد عينيه لاحمرارها:

ـ روندا..

قاطعه صوت شيلي:

ـ درو.! قال لي تشارلز إنك هنا.. أدخل.

أدار درو رأسه نحوها وقال مبتسماً:

ـ لقد جئتك بالكتب التي طلبتها.

تجاوزته روندا بسرعة قائلة:

ـ هل أصنع القليل من القهوة؟

وأكملت طريقها إلى المطبخ حيث أدارت السخان الكهربائي، وجلست تضغط بيد مرتجفة على جبينها.. ما الذي دهاها لتتصرف بمثل هذا الغباء؟ لماذا لا تستطيع أن تكون هادئة بل حذرة؟

صنعت ركوة من القهوة، وتصنعت بعض الهدوء على وجهها، وحملت الصينية إلى غرفة الجلوس.. كان درو ماتيوز يتحدث إلى شيلي عندما دخلت روندا فتسمرت عيناه عليها. وجلست بعيدة عنه قدر المستطاع محاولة تهدئة الرجفة في يديها وهي تصب القهوة.. وتسأل بأدب:

ـ كيف تأخذ قهوتك سيد ماتيوز؟

ـ مرّة، دون سكر.

وابتسم لها فارتبكت. أعطت شيلي فنجاناً ثم تقدّمت إلى درو

ماتيوز.. وتلامست أصابعهما قليلاً وهي تعطيه الفنجان، فتراجعت روندا كالملسوعة، وهي تعرف أنه أحسّ بردة فعلها.

متوترة، عادت إلى مقعدها لتحتسي قليلاً من قهوتها ثم تقف وتبتسم بقسوة لشيلي:

ـ يجب أن أذهب الآن شيلي.. لدي بضع أفكار للفصل الأخير وسأقوم ببعض الرسومات الليلة. سأتصل بك غداً.

قالت شيلي بدهشة والتساؤل في عينيها: سأوصلك.

نظر الرجل الجالس إلى جانبها إلى ساعته الذهبية وتحرك ليقف برشاقة.

ـ وأنا كذلك يجب أن أذهب.. لذا سأكون سعيداً أن أوصل الآنسة كروس إلى بيتها.

ابتسمت شيلي له متهللة:

ـ شكراً درو.. هذا لطف منك.

ـ لا داعي للشكر أبداً.

وتركّزت عيناه بشكل مثير للاضطراب على وجه روندا وهي تتكلم.. أرادت أن تحتج.. فهي أكثر من قادرة على العودة لوحدها. لكن ذلك يزعج شيلي، فقررت الانتظار إلى أن يخرجا.

عند خروجهما دس درو ماتيوز يده بخفة تحت مرفق روندا، وقادها نحو سيارة سوداء كبيرة تقف خارج أبواب المنزل.. لمستُهُ، بالرغم من عفويتها، أربكتها وكادت تشل مقاومتها.. فوقفت قرب السيارة وهو يفتح لها الباب، تلعق شفتيها متوترة، ثم قالت بسرعة قبل أن تخونها شجاعتها:

ـ لو.. لو كنت لا تمانع.. أفضل أن أذهب بالباص.

التفت إليها: لماذا؟

ـ أظن فقط أنه أفضل.

ـ أفضل لمن؟ لك وأنت تنتظرين إلى ما شاء الله حتى يأتي الباص ويوصلك إلى مكان ما قريب؟ أم لي؟

أحست بالتوتر الذي يعتريه وخافت.. فسألته:

ـ لِمَ أنت غاضب هكذا؟

ـ ولماذا تتصرفين أنت كالأطفال؟.. روندا.. أنا أعرض عليك أن أوصلك، لا شيء أكثر ولا شيء أقل.. فلماذا تختلقين من ذلك مشكلة كبيرة؟

عبست في وجهه:

ـ أنا لا أختلق مشكلة.. لكنني لا أعرفك ولا أفهم لماذا تعرض عليّ أن توصلني.. هذا كل ما في الأمر.

ـ لأنك صديقة شيلي، وشيلي تعجبني.. واضح؟

فتح لها الباب:

ـ والآن اصعدي واصمتي.

لحظات وصعد إلى جانبها وراء المقود وهو لا يزال يبتسم وقدم لها سيكارة، وأشعلها لها.

ـ أنت طفلة عنيدة.

ـ أنا لست...

وابتلعت ردها لتسحب أنفاساً من سيكارتها.. وتأكدت من عدم جدوى الجدال معه. إنه رجل يحصل على ما يريد دائماً. أعطته عنوانها واستقرت في مقعدها تدخن بصمت وهو يناور بسيارته وسط الزحام، وخيّم السكون بينهما حتى أنها استطاعت سماع نبضات قلبها لأنها كانت مرتفعة بشكل غير طبيعي.. أيمكنه سماعها؟

بادرت القول مترددة: سيد مانيوز..

قاطعها بحزم: درو.

ـ أنا..

ـ قوليها.

ابتلعت ريقها، ورددت بصوت منخفض وبحشرجة: درو.

ـ هكذا أفضل.. والآن، ماذا كنت ستقولين؟

ـ لست أدري، نسيت..

وارتعش صوتها بالضحك، وبذهول سمعته يضحك بدوره، وخمد التوتر قليلاً دقائق خمس حتى توقفت السيارة بصمت خارج المخزن، واستدار درو في مقعده نحوها ينظر إليها بعينيه الدخانيتين.

همست:

ـ شكـ.. شكراً لك لأنك أوصلتني.

سأل بصوت جدي:

ـ لماذا أنت خائفة مني؟

ردت بصوت لبس فيه قناعة: لست خائفة.

ـ بلى خائفة.

مال إلى الأمام يضع يده على قلبها النابض بسرعة فائقة:

ـ إنّ قلبك يفضحك.. أيتها الصغيرة.

دفعت يده عن بشرتها، وأحست بأنها تكرهه. وقالت بغضب:

ـ لا تلمسني!

أمسكها بكتفيها.. أدارها لتواجهه.. لم يكن يؤلمها لكنها شعرت أنها لو حاولت التحرك مبتعدة عنه فلسوف يطوي عظامها الرقيقة.

سألته بكبرياء وسخرية:

ـ أتود أخذ أجرة التوصيل؟

وسمعت صوت هسيس أنفاسه.. وتمتم بخشونة:

ـ يا إلهي روندا.. أنت تختبرين قوة صبري كثيراً.. لماذا تقاومين؟

ـ لست أدري عم تتكلم.

وأدار رأسها بأصبعيه ليجبرها على النظر إليه.. وانحبست أنفاسها في صدرها وهي تحدق في نظرته القاتمة.. وتمتمت: دعني!

قال بصوت منخفض مرتعش: لا أستطيع.

حاولت روندا التملص دون طائل، إنها خائفة من دوامة المشاعر التي أخذت تلفها.. وهمست بشدة:

ـ أكرهك.. وأتمنى أن تدعني وشأني!

ـ روندا..

وأسكت محاولاتها بضمها إليه بشوق أذاب كل مقاومتها.. وراحت ذراعاها النحيلتان تعبثان بشعره الأسود الكثيف ثم رفع رأسه ينظر إليها.

للحظات طويلة نظرت روندا إليه مذهولة تحركها المشاعر التي رأتها في لمعان عينيه. كان يتنفس بعمق مثلها ويمسك وجهها بحنان بين يديه.. ثم تمتم بابتسامة خفيفة:

ـ لا أستطيع تركك وشأنك كما ترين.. أنت تحتلين فكري منذ التقيتك بالأمس.. أريدك روندا.. ولا أظنك قادرة على المقاومة أكثر مني.

ارتعدت روندا وهي تقاوم الضعف في داخلها لتعود فجأة إلى وعيها. هل هذه هي الطريقة التي يستخدمها عادة؟ إنه رجل متزوج ولا تنوي أبداً أن تتورط معه.

قالت بغضب وانفعال وجرح:

ـ أوه.. يمكنني أن أقاوم، راقبني كيف أفعل ذلك.. أنت متزوج وأنا لا أريد علاقة معك.. لا شك أنك تظنني حمقاء! حسن جداً، من الأفضل لك أن تستيقظ على واقع أنني لن أقع في حبائلك

سيد ماتيوز.. ولا أريد رؤيتك مرة أخرى.. أتفهم؟

كان صوتها يرتفع ويحتد والكلمات تنصبّ من فمها.. ولم تنتظر لسماع ردّه بل قفزت من السيارة تسير نحو الباب الأمامي دون النظر إلى الخلف.

كانت تضع المفتاح في القفل وهي تسمع هدير محرك سيارته وصرير الإطارات فوق الطريق وهي تنطلق.. مرتبكة، مصدومة، صعدت السلم إلى شقتها.. كان المبنى صامتاً، فارغاً، نينو لا يزال في الخارج، وأحست فجأة أنها وحيدة بائسة، قلقة.. شيلي.. درو ماتيوز، مشاكل، مشاكل..

رمت حقيبتها وسترتها على الكنبة وأعدت الشاي.. ثم لم تستطع الجلوس باستقرار فأشعلت سيكارة ووقفت قرب النافذة ترقب السماء وهي ترتشف الشاي.. ومع أنها كانت تقاوم فقد وجدت نفسها تفكر بدرو ماتيوز، ولمسة الشوق التي في يديه. لم يكذب عليها مع أنها كذبت عليه.. لقد انجذبت إليه بقوة وأثّر بها كما لم يؤثر رجل ما يوماً عليها وقد عرفت هذا في المطعم.. لكنه متزوج، لهذا لا شيء يمكن أن يقنعها بأن تتورط معه.

أخذت تذرع الشقة بخطواتها البائسة.. هي في الوقت الحاضر ليس لديها صديق.. كانت تخرج أحياناً مع رجال تعرفهم، لكنها كانت تهرب من أي علاقة تعرض لها، فهي لم تكن تشعر سوى بالود تجاههم..

بدأ جرس الهاتف يرن يقاطع أفكارها.. وكانت مسرورة للمقاطعة.. كان المتكلم «الوك ماكان» وكيل أعمالها يطلب منها الخروج معه للعشاء الليلة. قال إنه يريد أن يحادثها، ووافقت روندا على الفور.

أخذت حماماً دافئاً، وسرحت شعرها بحذر تسريحة متقنة تبرز

www.rewity.com

بشكل فاتن بشرة وجهها وعنقها. ثم زينت وجهها واختارت فستاناً حريرياً أسود مع سترة مماثلة لموعد العشاء.

رن جرس الهاتف الداخلي في الشقة عند السابعة والنصف.. لوك دائماً يصل في الموعد المحدد.. أخذت حقيبتها وأطفأت الأنوار وصفقت الباب خلفها، ثم ركضت تنزل السلم مبتسمة وهي تفتح الباب الأمامي.

لمعت عينا لوك الزرقاوان:

ـ جاهزة عزيزتي؟ تبدين ملفتة للنظر.

أخذت روندا ذراعه واتجهت معه إلى سيارته:

ـ شكراً لك. وأنت تبدو أنيقاً جداً.

بدا وقوراً وربما غريب الأطوار قليلاً بشعره الفضي الكثيف، المسرح بأناقة، ووردة حمراء داكنة في عروة سترته.. كان يبدو أصغر بكثير من سنيه الستين.

ضحك لوك مسروراً بالإطراء، وفتح لها باب السيارة القديمة التي اعتنى بها جيداً، فارتمت روندا إلى الداخل.

كان المطعم المفضل لدى لوك هادئاً وفاخراً، وكانا بانتظار وصول وجبة الطعام حين قال فجأة:

ـ لقد التقيت بدرو ماتيوز هذا الصباح.

ارتفع رأس روندا بحدة:

ـ درو ماتيوز؟

ـ التقيتما بالأمس كما أعتقد.

بدأ رأسها يدور على الفور وبدأت الرية تتصاعد.

ـ أجل.. التقيته بالأمس.. ولم أكن أعلم أنك تعرفه.

ضحك لوك:

ـ أعرفه منذ سنوات عزيزتي.. الجميع يعرف درو ماتيوز.

انقبض وجهها، وارتشفت رشفة ماء بسرعة تقول: أوه.

أليس هناك مهرب منه؟ منذ اللحظة التي رأته فيها بدت كل لحظات صحوها تحت سيطرته.. وهذا ما يقبض صدرها بشكل غامض.

سألها لوك بخبث:

ـ موضوع حساس؟

ـ ولماذا يكون كذلك؟

كانت واثقة أن احمرار وجهها المفاجيء فضحها.. فسألها ماكراً:

– اخبريني انت.

ـ لماذا ذكرت اسمه؟

نظر إليها لوك متفرساً مما جعلها تتوتر لسبب ما.. وأحست أنه يخفي عنها شيئاً ما:

ـ لا سبب خاص.. ربما لأنه في الواقع أصبح الآن هناك معرفة بيننا.

قالت بحزم وهي تتناول قطعة من المعجنات:

ـ إنه لا يعجبني.

رفع حاجبه الفضي:

ـ ولم كل هذا الحقد.. ليس من عادتك كراهية شخص بهذا الشكل دون أن تعرفيه..

كانت دعوة مفتوحة للكلام واستغلتها هي لأنها تعرف لوك منذ كانت في الكلية، كان صديقاً طيباً ووكيل أعمال جيد، وفي الواقع كأنه أب ثان لها.

ـ أعرف هذا.. ولست أدري ما السبب.. ربما في الواقع أنني وجدته جذاباً بشكل قوي أو مسيطر.

WWW.RAYAHEENA.COM/VB

ـ وما العيب في هذا؟

ـ في البداية الواقع أنه متزوج!

ـ علاقته بصوفيا لا يمكن لأحد أن يدعوها زواجاً. وهذا أمر يعرفه الجميع ولا شك أنك سمعت عنه.

ـ لقد قالت لي شيلي شيئاً من هذا.. لكن دعنا لا نقلّب الشائعات.. قل لي عن أي شيء كنت تريد الكلام؟

مرة أخرى ابتعد الحديث عن درو ماتيوز، وأحست روندا بعدم الاكتفاء في داخلها.. كانت وكأنها تخاف أن تعرف المزيد عنه.. هل أرادت أن تفكر به كعابث كي تقتل الإحساس الذي تجد نفسها تشعر به نحوه؟ وقالت لنفسها بحزم: الواقع واقع، ثم حاولت التركيز على ما كان لوك يقوله حول عرض عمل ووافقت عليه دون أن تفكر.. كان كل همها أن تسعد لوك، وبدا وكأنه يبذل كل جهده للحصول على موافقتها.. ثم أخبرته عن عزمها على قضاء شهر أو يزيد في الريف مع شيلي.. فقال:

ـ هذا سيفيدك كثيراً.. لأنك شاحبة جداً.

كانت سهرة لطيفة بمجملها لأن روندا عادت إلى منزلها أكثر سعادة بكثير. ودعت لوك إلى فنجان قهوة وتحدثا حول عملها وهو يراقب رسوماتها التوضيحية لكتاب شيلي.

في اليوم التالي، وبمحضّ الصدفة، وقع نظرها على إحدى مسرحيات درو ماتيوز في مكتبة لنينو. فأخذت المسرحية بأصابع مرتجفة قليلاً واستأذنت نينو باستعارتها.. وفوراً تخلت عن عملها لتبدأ القراءة.. وقضت طوال بعد الظهر تقرأها لتجد نفسها مستغرقة تماماً، حتى كادت لا تسمع جرس الهاتف وهو يرن.

كان كاتباً لامعاً ومذهلاً، جريئاً، يثير الاضطراب، غامضاً وبارعاً جداً جداً.. أشياء لمحتها في عينيه الرماديتين الباردتين،

اتضحت لها الآن حول عمق شخصيته ومعالمها. كان شخصاً قوياً مميّزاً يتمتع بنظرة عميقة ووضوح رؤيا وفهم عميق للبشر، ممّا أخافها قليلاً لقوة شخصيته المسيطرة.

وعندما كانت تقلب آخر صفحة لتقرأ آخر السطور، كادت تبكي، مع ذلك كانت سعيدة، ومشوشة. مسحت دموعها بظاهر يدها لتلاحظ أن الغرفة أصبحت مظلمة ما عدا نور العمل فوق المنضدة التي كانت تقرأ عليها.

هكذا انطوى نهارها وهي ضائعة تماماً في المسرحية. أعدّت لنفسها بعض العشاء، وأمضت ما تبقى من الوقت قبل الذهاب إلى النوم مضطربة في مقعدها، غير قادرة على إخراج المسرحية أو الرجل من تفكيرها.. لو كانت تأمل أن لا تهتم به فإن قراءة مسرحيته كانت أسوأ غلطة ارتكبتها.. فقد أصبحت أكثر فضولاً حوله وأكثر انجذاباً إليه.. إنها فعلاً في وضع ترجو الله مساعدتها عليه.

* * *

٣ ـ هدية ثمنها دموع

مرت روندا بعد يومين شاردة أمام محل الأثريات فلاحظت اختفاء العلبة.. توقفت مسمرة في مكانها محدقة بالطبق الزجاجي، فانقبض قلبها وامتلأت عيناها بالدموع، لقد كانت تتوقع ذلك.

حاولت أن تتخيل العلبة في مكان ما ولكنها لم تستطع ثم ما لبثت أن عادت إلى المنزل خائبة، محبطة.

فور دخولها إلى الردهة الكبيرة عرفت أن ثمة تغييراً في المكان.. ما لبثت أن لاحظت أن الرسمة الجدارية الضخمة قد انتهت، فأخذت تنظر إليها نظرة كاملة، ثم ظهر نينو ووجهه مليء بالابتسامات.

تقدم منها ليضع ذراعه على كتفها ويسألها: ما رأيك بها؟

فضحكت روندا:

ـ غريبة.. وجميلة.. لقد أحببتها.

بدت الغرفة العملاقة بألوان اللوحة المبهجة، وكأنها النار المتأججة.

ـ حقاً؟

ابتسمت متأثرة:

ـ أجل.. حقاً.

ـ يجب أن نحتفل إذن.. عندك أو عندي، أم هنا في الردهة؟

ـ فليكن الاحتفال هنا، كي نتطلع إلى الرسم ونحن نحتفل.

ثم انفجرت ضاحكة.. فسعادة نينو أنستها إحباطها، ورغبت بالتخفيف من مزاجها المتعكر. جاء نينو بكرسيين وكوبي كولا ومذياع. بدلت المذياع ووضعته على موسيقى «جاز» أدارت صوته عالياً.. ثم قالت:

ـ مبروك نينو.

أجابها نينو فرحاً:

ـ لنا معاً وللعمل الفني أمامنا. أترقصين؟

قالت: مع سعادتي..

وتحركت بوقار.. فرقصا رقصة مجنونة وليدة اللحظات الجميلة، وكلاهما يضحك دون أن يلاحظ أي منهما ذلك الرجل الطويل الذي يقف بالمدخل، يراقبهما بصمت. وفجأة أدارت روندا رأسها فتسمرت وهي تنظر في عيني درو ماتيوز الساخرتين.

استدار نينو بدوره وصاح من بين أصداء الموسيقى:

ـ هاي.. بماذا أخدمك؟

رد درو دون مبالاة:

ـ جئت لأرى روندا.

تركها نينو على الفور وأقفل المذياع وكأن شيئاً ما في صوت درو ماتيوز أبعده عنها.. واحمر وجه روندا تحت تلك النظرة الجريئة الرمادية.. كان الرجلان معاً ينتظران منها موقفاً، وأخذ التوتر يسيطر عليهم.. رتبت قميصها ودفعت بشعرها الذهبي إلى الوراء بيدين مرتجفتين.

قالت تشير إلى السلم:

ـ أترغب في الصعود؟

من الواضح أن درو لم يكن ينوي التحدث أمام نينو.. ابتسمت

ابتسامة دافئة:

ـ آسفة نينو.. هلا عذرتني؟

هز كتفيه، ثم ابتسم لها: طبعاً.

كان درو ماتيوز يسير ورائها بصمت. وما إن دخلا غرفة الجلوس حتى تقدمت بهدوء إلى النافذة لتجعل أكبر مسافة بينهما، ثم دفعت نفسها للنظر إليه وقلبها يخفق بسرعة.

ـ أكان يجب أن تكون فظاً هكذا مع نينو؟

ردّ بسخرية ناعمة:

ـ وهل كنت فظاً؟

تنهدت روندا.. لن تتمكن من محاربته. ودون إرادة منها جالت بعينيها عليه.. بدا خطيراً وجذاباً.. وكان يحدق بها بحدّة، ولسوء الحظ كانت تعرف قوة الفكر الكامنة وراء هذا الوجه المقطب.. وهي قوة تخيفها.

ارتجفت بالرغم من حرارة جسدها، وتمنت لو أنها ارتدت شيئاً أكثر أناقة من البنطلون الجينز.

ـ لماذا.. لماذا جئت إلى هنا؟

ـ لتتحدث.

ـ لا أظن أن هناك ما نتحدث به.

أحنت رأسها تحجب عينيها بخصلة شعرها الحريرية.. فقال بنعومة:

ـ تعرفين أن هذا غير صحيح.

غصت متوترة:

ـ أترغب في بعض الشاي؟

لم تكن دعوتها سوى عذر للهروب إلى المطبخ لبضع دقائق تلملم شتات نفسها المتوترة.

ابتسم:

ـ أجل.. شكراً لك.

أخذت وقتاً كافياً في المطبخ، لكن الشاي جهز في وقت سريع ولا بد لها من العودة إلى غرفة الجلوس، كان درو يقف قرب طاولتها المبعثرة ينظر إلى كومة الرسومات المنتهية لكتاب شيلي.. استدار ببطء لدى دخولها، ثم تحرك بصمت ليأخذ الصينية منها.

صب الشاي لكليهما وتقدم منها وأعطاها فنجانها.. ثم سألها:

ـ صديقك؟

ـ وهل هذا يعنيك؟

ـ أنا أجعله يعنيني.

ـ نينو صديق طيب.. وهذا كل شيء.. يسكن في الطابق الأرضي.

أسرت عيناه الرماديتان عينيها بسخرية:

ـ أظن أنه ليس سعيداً لهذا.

قطبت: وماذا تعني؟

ـ أنت لا تعرفين حقاً.. أليس كذلك؟

ـ حقاً أنا أجهل عمّا تتكلم..

قال بصراحة: إنه يحبك.

اتسعت عينا روندا، مصدومتان لمعاني كلماته. هزت رأسها بذهول:

ـ لا.. لا أصدق هذا.. أنت مخطىء.. يجب أن تكون مخطئاً.

ـ لا تكوني سخيفة يا صغيرة.. أنت تعرفين جيداً أنني على حق.

تذكرت كيف نظر إليها نينو في مطبخ شيلي، ومع أن النظرة

تلاشت في لحظة فقد بقيت تشغل تفكيرها لساعات. إنها لا تريد نينو أن يحبها وبكل تأكيد لا تريد أن تجرحه.

ـ لكن.. لماذا تخبرني هذا؟ ماذا تستفيد؟

تنهد مثقلاً:

ـ لمصلحتك ولمصلحته أكثر.. كنت أظنك تعرفين هذا في أعماقك ولم أقصد أن أؤلمك روندا.

سألت متوترة:

ـ ولماذا أنت دائماً على حق؟

ضحك لها وقال متشدقاً: لن تصدقي.

ابتسمت:

ـ أنا واثقة أنني سأصدق.. ما الذي جئت لتتحدث عنه؟

إنه محق.. ولقد وفّر على نينو الكثير من الألم بإثارة شكوكها، مهما كانت كارهة أن تعترف بهذا.

قال جاداً وقد تغير مزاجه: في العمل.

ـ أي نوع من العمل؟

ـ كنت أتطلع إلى عملك، ولقد أعجبني.. سأعرض عليك مهمة.

كان الرفض أول ردة فعل لها.. فقلبها قال لها إنها تتعمد أن تتورط مع هذا الرجل وهذا ما سيسبب لها كارثة. إنه يجذبها جداً وقد تتألم كثيراً.. ومن جهة أخرى بدأ رأسها يدور ويفكر. الفضول والاهتمام بتوقعات المشروع الجديد، أرضيا غرورها أن رجلاً بذكاء درو ماتيوز اللامع يرغب في أن تعمل معه.

أخيراً سألت بحذر شديد:

ـ أي نوع من المهمات؟

رسم ابتسامة خفيفة.. كانت تنظر إليه كطفلة حلوة ناعمة:

ـ رسومات توضيحية.. غلاف لمسرحية ستنشر قريباً.

ـ إحدى مسرحياتك؟

ـ طبعاً.. أتقبلين يا صغيرة؟

فكرت روندا بالمسرحية التي قرأتها وأحست بالحماس لفكرة مشاركته، عرفت في أعماق قلبها أنها موافقة منذ لحظة سألها.. إضافة إلى كل هذا فهذه فرصة عمل رائعة لمستقبلها المهني.

أخذت نفساً عميقاً:

ـ أجل.. أقبل.. سيكون شرفاً لي أن أقدم رسومات توضيحية لك.

تقدم منها بسرعة صامتاً وانحنى فوقها ممسكاً يدها، وقال هامساً:

ـ أنت ناعمة جداً، جدية جداً، وحلوة، لدرجة أنك تمزقين قلبي.

ارتجفت متأثرة في العمق لكلماته.. أرادته أن يعانقها أكثر من أي شيء في العالم في تلك اللحظة، أغمضت عينيها من الشوق في داخلها. لكنها حركت يدها قليلاً كي تتخلص من يده، وسألته مرتجفة:

ـ متى.. متى أبدأ؟

ـ في أسرع وقت ممكن.. ألديك شيء في هذه اللحظة؟

أشارت بخجل إلى كومة الرسومات على طاولة العمل:

ـ لا.. لقد أنهيت لتوي كتاب شيلي.. لذا فأنا حرة كالطير وأستطيع أن أبدأ متى كان مناسباً لك.

ابتسم درو لحماستها:

ـ أنت موهوبة جداً. كنت أتفرج على الرسومات وأرجو أن لا تمانعي، وأنا فرح لقبولك العمل معي.

www.rewity.com

ـ شكراً لك.

مذهولة بإطراءه لها، لم تستطع إيجاد الكلمات.. اللقاء كله، عرضه، كل شيء بدا لها غير حقيقي وكأنها في حلم.

ابتلع درو ما تبقى من الشاي دفعة واحدة:

ـ سأعطيك نسخة من المسرحية وأترك الباقي لك.

كانت متلهفة لإرضائه فسألت:

ـ أتريد شيئاً بوجه خاص؟

ـ أنت الفنانة والأمر لك.

ـ أنا لا..

لكنه قاطع أفكارها وكأنه يقرأها:

ـ أنت لن تخطئي.. لدي ثقة بكفاءتك.

راقبها لحظات ثم قال:

ـ يجب أن نتفق على الدفع.. بعقد.

هزت روندا كتفيها، لم تكن تهتم حقاً بالمال:

ـ لوك عادة يهتم بهذه الأمور.

ـ لوك ماكان؟

ـ أجل.. تعرفه، كما أعتقد.

هز درو رأسه:

ـ سأتصل به بعد الظهر.

صمت ليشعل سيكارة، عرض عليها واحدة فرفضتها ثم تابع:

ـ لدي شيء أرغب في أن أعطيه لك.. كي نختم اتفاقنا.. فهل ستقبلينه؟

أثار فضولها فسألته: ما هو؟

ابتسم:

ـ إنه ليس معي لذا فأنت مضطرة للانتظار لتريه.

وقف بتلك الرشاقة الجميلة التي تجذب النظر، وأضاف:

ـ أتتناولين الغداء معي غداً؟ سأكون قد تكلمت مع لوك والناشر، وسنتمكن من الكلام حول التفاصيل النهائية. وسآتيك بنسخة من المسرحية.. وبرشوتك.

إنه يقترح عليها غداء عمل. كانت تود القبول لكنها في أعماقها كانت تتردد. ردت وهي لا تزال مرتابة:

ـ لست أدري..

قاطعها بصوت منخفض:

ـ أرجوك روندا.. أؤكد لك أنه غداء عمل فقط.

ـ لا بأس.

ـ سآتي لآخذك في الثانية عشرة والنصف.

ـ أجل.. رائع.

تجاوزته لتفتح له الباب، لكن يده أطبقت على كتفها وأدارها نحوه. لمست أصابعه خدها بلطف.

رفعت نظرها إلى عينيه مرتجفة فأحنى رأسه وخرج، وتركها مرتبكة وسعيدة جداً. حملت صينية الشاي إلى المطبخ تحترق شوقاً لتقول لأحد.. ستقول لنينو.

ركضت إلى شقته في الأسفل، كان الباب مفتوحاً لكنها قرعته على أي حال، وسمعته ينادي من الداخل: أدخل.

فلحقت صوته لتجده ينظف فراشي الرحم في غرفته. إنها رائعة ومليئة بالنور والحياة.

رفع نينو رأسه عن عمله، وابتسم لها:

ـ هل ذهب؟

ـ أجل.. وأنا آسفة نينو، كنت فظة جداً معك فأنا حتى لم أقدمكما لبعضكما.. لأنه دائماً يربكني، يجفلني.

ـ أفهم هذا.

قفز واقفاً يمسح أصابعه بالقماش، فقالت بحزن:

ـ لا.. أنت لا تفهم.

وتذكرت ما قاله درو عنه.. لكن حين يكونان معاً هكذا، تستطيع أن تقسم أنه لا يحبها.. فلماذا هي واثقة الآن أنه يحبها؟

استدار نينو نحوها وهو يسأل:

ـ من هو على أي حال؟

ـ درو ماتيوز.

ـ بالطبع.. لقد اعتقدت أنني عرفته.. لكنني لم أستطع أن أتذكر اسمه.. أنت تحلقين عالياً في هذا العالم.

مع أنه كان يمازح ففي عينيه أسئلة صامتة.. أجابت روندا عليها شارحة:

ـ لقد عرض عليّ عملاً.. صورة غلاف لإحدى مسرحياته.

ـ هذا عظيم، تهنئتي لك.

لم تفتها نظرة الارتياح في عينيه وهو يهنئها، وردت له التهنئة مع إحساسها بالبؤس لتأكدها الآن من حقيقة مشاعره، لكنها سعيدة بالطمأنينة التي يشعرها بها.

وسأل بهدوء: ما الأمر؟

فهزت رأسها، متجنبة النظر في عينيه.. لن تستطيع أن تقول له سبب بؤسها.. فأكمل:

ـ دعينا نخرج الليلة حبيبتي.. احتفال مزدوج، عملك الجديد وجداريتي.. ولسوف أجعلك تمرحين.

فكرت لحظة، وهي لا تزال مرتبكة أجابت:

ـ أجل.. يمكن هذا.

إنه يوم للقرارات الطائشة.. فماذا يهم قرار طائش آخر؟

صعدت إلى شقتها ببطء، تفكر بنينو ودرو ماتيوز، وعلبة المجوهرات الفضية التي ضاعت منها إلى الأبد، كم كان هذا يوماً جنونياً.

رن جرس الهاتف وهي تخطو إلى خارج الدوش.. وركضت لترد، وكان لوك الذي بادرها ضاحكاً.

ـ إذن غيرت رأيك به؟

للحظات لم تفهم ما يعنيه لوك.. فالماء البارد لا يزال في شعرها:

ـ من تقصد؟

ـ اتصل بي درو ماتيوز بعد الظهر.. كنت أظن أن هناك شيئاً ما يجري بينكما.

ـ أوه.. أجل.. ما رأيك؟

ـ فرصة رائعة عزيزتي.. جيدة! وأنا مسرور أنك لم تتركي كراهيتك له تؤثر على حكمك.

ـ حسناً.. بالتأكيد غيرت رأيي به.. وأظنه يعجبني.

ـ يا لك من متقلبة!

وطفق يتحدث عن المال والعقود حتى ملّت روندا رغم أنها مسرورة لأنه تولّى عنها إدارة أعمالها.

أنهى لوك مخابرته بتهنئتها مرة أخرى، والوعد بترتيب كل شيء لها مع درو ماتيوز.

قرع نينو الباب في الثامنة تماماً فوجد روندا ترتدي أفضل فساتينها، فستان صوفي بلون أزرق فاتح، مما جعل عينيها البنفسجيتين مذهلتين. نظر إليها بإعجاب وقال لها بصوت أجش:

ـ تبدين جميلة.. لا بأس.. إنه احتفال.

كانت أمسية رائعة.. جعلها نينو تضحك كثيراً وبدا مصمماً على

أن لا يكون جاداً وهذا ما أراحها تماماً. إنها متعلقة به جداً.. وتثمّن صداقته أكثر من أي شيء آخر.. لكنها لا تحبه.. ولا تريد أن تجرحه. كانت تفكر أن تترك الشقة ولا تراه مجدداً كحلّ.. لكنها كرهت أن تنفذ ذلك.

لو أنها سافرت إلى الريف مع شيلي لأسبوعين أو أكثر فسيساعدها ذلك على وضع تصور للحل، ويترك لهما معاً مجالاً للتفكير.. كانت مرتبكة، ضائعة، وحزينة، فمهما كانت النتيجة فهي واثقة أن شيئاً مميزاً بينهما سيتضرر إلى أبعد من الإصلاح.

بعد العشاء تمشيا على ضفاف «التايمز». كانت أمسية دافئة صافية وكان بينهما انسجام متقارب.. حين وصلا إلى المنزل عرضت عليه القهوة، لكنه رفض لأنه مرهق، كانت تعرف أنه يكذب لكنها تقبلت عذره مبتسمة، ودعها واختفى في شقته قبل أن تشكره للأمسية الجميلة.. وما إن دخلت شقتها حتى استسلمت مع الاكتئاب إلى النوم.

أمضت الصباح التالي بزحمة من النشاطات.. فهي لم تستيقظ إلاّ في الساعة التاسعة فتناولت القهوة وفطور سريع، وجلست توضب رسوماتها لكتاب شيلي وترتب طاولة عملها.

بحلول الحادية عشرة والنصف كانت طاولتها نظيفة مرتبة، وقفت تبتسم للوحة الألوان الفارغة ولصفوف الجرار الخزفية المحتوية على الفراشي والأقلام، وورق الرسم وأقمشة اللوحات.. كانت تعيد ترتيب كل شيء وكأنما هي لمسة نهائية لعملها.

نظرت إلى ساعتها فارتعبت.. إنها تكاد تكون الثانية عشرة. درو ماتيوز سيصل بعد نصف ساعة.. وانقبضت نفسها لفكرة رؤيته مجدداً.

دفعت شعرها عن وجهها فلاحظت كم كانت يداها قذرتين..

العمل المنزلي الشاق تركها متسخة ثم قررت أن تأخذ حماماً ساخناً وترتدي بنطلوناً أسود واسعاً مع بلوزة حريرية. فأخذت دوش سريع وجهزت نفسها.

في الوقت المحدد سمعت دقة قوية متسلطة على الباب.. فتنفست بعمق وفتحته.

خطف درو ماتيوز أنفاسها دفعة واحدة مبتسماً لرؤيتها، والدفء في وجهه الأسمر النحيل.. ثم قال متشدقاً بسخرية لطيفة:

ـ مرحباً طفلتي روندا.

بدا لها أطول منها بكثير قوي وجذاب في بنطلون أسود وسترة أنيقة.

قالت بغباء وهي لا تزال تجد صعوبة في التنفس:

ـ الهاتف الداخلي...

ـ كان الباب الأمامي للمبنى مفتوحاً.

ـ إنه نينو.. يتركه دائماً مفتوحاً دون احتراس. وأنا أظن...

صمتت تعضّ شفتها.. لماذا تهذر بمثل هذه الترهات؟

رفع حاجبه الأسود:

ـ ألن تدعيني أدخل؟

فتحت الباب وتراجعت إلى الوراء:

ـ أنا آسفة.. تفضل.

وضع لفافتين كان يحملهما تحت إبطه، وأمسك كتفيها وقال:

ـ روندا.. استرخي.

صوته كان عميقاً وهادئاً، وأحنى رأسه يعانقها بلطف وكأنها طفلة مذعورة.. كان قريباً منها وأحست بدفء أنفاسه وتنسمت رائحته الدافئة.

أدركت ساعتها مدى تعلقها به.. إنه إحساس لم تعرفه نحو أي

رجل آخر من قبل.. إحساس جديد مخيف في قوته.. فتراجعت عنه، مضطربة لهذا الإحساس اليائس.

راقبها درو بعينيه الرماديتين الغامضتين وهو يتركها تضع مسافة بينهما.. ووجدت نفسها مرتبكة تقول:

ـ أنا.. أنا جاهزة.

ـ أنت.. جميلة.

احمر وجهها، لقد ظنها تطلب الإطراء:

ـ أنا.. لم أقصد..

ـ أعرف. لكنك فعلاً جميلة جداً.

وتناول اللفافتين من تحت إبطه وقال مبتسماً:

ـ المسرحية.. هناك بطاقة تحمل عنواني ورقم هاتفي في حال واجهت صعوبات.

أخذت روندا إحدى اللفافتين بيد مرتجفة وردت:

ـ شكراً لك.. سأبدأ قراءتها اليوم.

ـ لا داعي للعجلة.. أخبريني! إذا وجدت فيها شيئاً لم يعجبك أيمكنك استكمال الرسم؟

فكرت روندا للحظات، ثم قالت:

ـ أجل.. أنا واثقة أنني قادرة على التعامل مع مواد لا تعجبني.. مع أنني لست واثقة حول مدى تأثير هذا على النتيجة، ولو أنني أظنها ستتأثر.. وقد يكون لدي حماسة مختلفة لشيء أحبه.. على أي حال ستعجبني مسرحيتك.

ـ وكيف عرفت هذا؟

ـ لقد قرأت إحدى رواياتك منذ أيام وكانت جميلة.. جعلتني أبكي.

ابتسم درو وهي تقول له عنوانها:

ـ ربما هذه هي الفكرة أساساً.. لماذا قرأتها؟

هزت روندا كتفيها:

ـ أثارت فضولي.. كنت قد قابلتك وتساءلت عن ماهية عملك.

ـ وما إذا كنت أنا فعلاً «الغول» الذي يبدو لك؟

ـ أجل.. شيء من هذا.

ـ وماذا وجدت؟

صوته الأجش المنخفض هزّها ولم تعرف أكان جاداً في سؤاله أم لا.

ـ وجدت أنك لست سيئاً كما ظننتك، أوه.. أنا آسفة..

ضحك درو بقوة:

ـ لا تقولي شيئاً آخر.. من الصعب تقبل إطراءك.

ابتسمت روندا مع أنها كانت تشعر بحرج شديد. ما الذي دهاها لتكون وقحة هكذا؟

حين تجرأت على النظر إليه مجدداً كان يحمل اللفافة الأخرى بين يديه.. وفي عينيه رأت شيئاً ما.. التردد؟ بالطبع لا.. فلدرو ماتيوز ثقة بالنفس أكثر من أي شخص عرفته من قبل.

قال ببرود وتحفظ:

ـ هذه لك.. أتمنى أن تقبليها.

أخذت اللفافة منه ببطء وارتباك.. لا فكرة لديها عن محتواها، كانت ثقيلة، وسألت:

ـ هل أفتحها الآن؟

هز رأسه بصمت.

مزّقت الورق ويداها ترتجفان.. ثم أطلقت صرخة صغيرة للمفاجأة وكانت العلبة الفضية من محل الأنتيكات.. أصبحت الفضة الملساء الباردة اللامعة تحت أصابعها.. كانت قد فقدت الأمل، هذا

يشبه الحلم. وأحست بالدوار وكأنها أخذت باللمعان في جواهرها.. تلمستها، تطلعت إليها ببهجة مجنونة ثم عاد إليها تعقلها.. لا يمكنها قبولها، إنها ثمينة جداً.. ثم إن درو ماتيوز رجل متزوج، بالكاد تعرفه.. مستحيل!

قالت بصوت مضطرب:

ـ لا.. لا.. لا أستطيع قبولها.

التفت أصابعها حول زوايا العلبة المحفورة وهي تتكلم.. أحست بنفاد الصبر وراء تعابير وجهه.. وقال ببرود:

ـ بالطبع يمكنك.. ليس هناك أية التزامات أربطك بها.. ثم هي ثمينة بالنسبة لك.. أنت تمسكينها وكأنك لا تطيقين تركها مجدداً.

مدت العلبة إليه:

ـ لكن يجب أن أتركها.. أرجوك ماتيوز.. خذها.. لا أستطيع قبولها.. حقاً لا أستطيع.. أرجوك!

ولعنت الدموع التي أخذت تتساقط من عينيها وصوتها المرتجف المرتفع.

لم يتحرك بل بقيت يداه إلى جانبيه:

ـ هذه سخافة.. روندا، أصغي إليّ.. لقد رأيت الطريقة التي كنت تنظرين فيها إلى العلبة في واجهة المحل بحسرة وتلهف.. كنت تريدينها واشتريتها لك لأنني أؤمن أنها لك.. ثم إن اعتراضك لا علاقة له بالعلبة نفسها.. بل بالمال.. إنها هدية بسيطة لا عواطف فيها، وصريحة.. فلماذا القلق إلى هذا الحد؟

أصغت إلى ما يقول، واعترفت أن قوله منطقي. لكن مع ذلك كان هناك شيء لا يعطيها الحق بمثل هذه الهدية الغالية الثمن.. وقالت بألم:

ـ ليس السبب هو المال وحده.. مع أنه عامل مهم. بل الواقع

هو أنك متزوج.

انقبضت تعابير وجهه، وتحجرت عيناه وسألها ببرود:

ـ وتعرفين كل شيء عن زواجي؟

احمر وجه روندا، تألمت وأحست بالذنب لأنها أصغت إلى الشائعات الدائرة حوله، ثم قالت:

ـ لقد سمعت..

لم يتركها تنهي ما كانت تنوي قوله.

ـ لا أريد أن أسمع فوفري عليّ التفاصيل.. لأنني سأخبرك كل شيء الآن.. والأمر عائد إليك في أن تصدقي أم لا.. زواجي انتهى فأنا لم أعش مع زوجتي منذ ستة عشر سنة.. فهل هذا يهدىء قليلاً من وساوس مشاعرك؟

عيناه كانتا قاسيتين باردتين كالجليد وهو ينظر إليها:

ـ بإمكانك فعل ما شئت بالعلبة.. فأنا لا أريدها. وأظن من الأفضل لنا معاً أن نتخلى عن الغداء.

استدار يترك الشقة، أقفل الباب خلفه بهدوء شديد تاركاً روندا جامدة، صامتة، تحس بالهجران.

* * *

www.rewity.com

٤ ـ ارحل ولا ترحل

تلك الليلة لم تذق روندا لذة النوم. كانت الكوابيس تقض مضجعها، مخيفة وعنيفة، بحيث أنها أيقظتها أكثر من مرة وأجلستها تحدق في ظلام غرفتها وقلبها يخفق. كان درو ماتيوز يحتل تفكيرها.. مسرحيته كانت ملقاة دون أن تمسّ على الطاولة وكأنها توجه إصبع الإتهام لها.. لقد أهانته بإيحائها له أنه وهو الرجل المتزوج يحاول شراء حبها.. لقد صورت له أنها تراه دون أخلاق، دون مبادىء، وقطعاً غير أهل للثقة.. كانت لا تزال تنكمش في داخلها وهي تتذكر الجليد في عينيه والغضب يسيطر عليه.

إنه رجل لا يعيش مع التقاليد.. بينما عاشت روندا في منزل تقليدي صارم، وكان من الصعب عليها أن تتخلى عن قناعاتها الموروثة.. لم يكن درو ماتيوز يقصد شيئاً بشرائه العلبة لها.. لقد أرادتها وفكر بإهدائها لها.. هذا هو دافعه الوحيد. فيما تصرفت معه كفتاة ساذجة مذعورة تختار كلماتها دون حكمة، في وقت كان يمكن التوصل إلى اتفاق ما.. لو أنها تصرفت بتعقل!

تنهدت تستعيد في فكرها ما قاله لها عن زواجه، وسؤال ما زال يدور في خلدها وهو أنه لو كان كما قال لم يعش مع زوجته لستة عشر سنة، فلماذا لم يتطلقا؟ وأين هو موقع إيفا بلانكان في كل هذا، وفي حياته؟ وأدركت أنها تدور في حلقة مفرغة وهي لا تعرف

الوقائع.. كانت تكلم وسادتها، واستلقت إلى الوراء عليها تنام وتتوقف عن التفكير وتجد بعض الراحة..

بعد ظهر اليوم التالي، وصلت شيلي مع تشارلز وماغي، وقد دعتهم روندا جميعاً للغداء منذ أسبوع، لم يكن مزاجها مهيئاً لاستقبال الزوار بعد المواجهة الحامية مع درو ماتيوز وما أعقبها في ليلتها المتعبة.. لكن، عندما نظرت إلى شحوب شيلي الشديد واكتئابها الواضح، تناست مشاكلها وراحت تهتم بالولدين وأجلستهما في الزاوية مع أقلام وورق.. وراحت ترتشف القهوة مع صديقتها شيلي التي كانت صامتة على غير عادتها.

سألت روندا بلطف:

ـ هل من أخبار؟

ـ أبداً.. اتصل محامي براد بمحاميّ، لكن هذه الأمور تتطلب الانتظار حتى الذهاب إلى المحكمة.

صمتت روندا تتمنّى لو أنها كانت تستطيع المساعدة وتقديم أي شيء.

وابتسمت شيلي، تحاول كما هو ظاهر أن تتمالك نفسها:

ـ روندا، أنا آسفة.. أعرف أنني أستمر في الاعتذار، لكنني أعنيه.. أنا لا أنوي أبداً أن أبدو بائسة معك.. وأخشى أن أكون قد سببت الإحباط لكل من حولي هذه الأيام.

صبت روندا المزيد من القهوة لكليهما وهي تقول بحزم:

ـ ليس بالنسبة لي، وعلى كل حال إن المرء لا يخفي همومه وأحاسيسه عن أصدقائه.

ـ أعرف.. لكنني لا زلت أحس بالذل وأنا أتسكع في كل مكان، كالبطانية المبللة، المثبطة للهمة.

قاطعت ماغي حديثهما تحمل صورة رسمتها.

ـ أنظرا ما رسمت! أنظري ماي.. انظري روندا!

نظرتا إلى الصورة، وقالت روندا مبتسمة:

ـ هذا منزلكم، أليس كذلك؟

هزت الصغيرة رأسها:

ـ هل أستطيع وضعها هنا؟ أم هناك؟

وأشارت باصبعها الصغير إلى لوحة عمل على الحائط..

فجاءت روندا بدبابيس ثبتت فيها الرسم المختلط وسط اللوحة:

ـ اذهبي وارسمي رسماً آخر من داخل المنزل، وضعي فيه كل ألعابك وأشياءك المفضلة.

وركضت ماغي عائدة إلى الطاولة، تقول لتشارلز بصوت مرتفع ماذا ستصنع. بينما سألت شيلي عفوياً:

ـ هل رأيت درو ماتيوز مؤخراً؟

احمر وجه روندا بالرغم منها:

ـ لقد تشاجرت معه بالأمس.. وأتمنى أن لا أراه قبل مدة طويلة!

أدركت أنها تكذب لحظة خرجت الكلمات من فمها.. فهي تريد أن تراه، ولا تفكر بشيء غير هذا.

بدا الأسى الفعلي في صوت شيلي:

ـ أوه عزيزتي! وأنا من ظننت أنكما ستتفقان جيداً.

قالت روندا بحزم، ومرارة:

ـ لا مجال لهذا.

ثم أخبرت شيلي ما طلبه منها درو من رسومات إيضاحية، لكنها لم تذكر العلبة الفضية، أو ما انتهت إليه مقابلتهما في اليوم السابق.

ـ سأقوم بالعمل طبعاً.. فأنا بحاجة للمال، وهذه فرصة رائعة لعملي.. وعلاقتي به سوف تكون ضمن هذا الإطار، سأسلم العمل

المنتهي إلى لوك ويمكنه التعامل معه.

لماذا تكذب على شيلي وعلى نفسها؟ الحقيقة كانت أنها محرجة جداً، وخائفة من مشاعرها نحو درو ماتيوز. وسألت تحاول تغيير الموضوع:

ـ هل فكرت بمسألة السفر؟

نظرت شيلي إليها بهدوء:

ـ في الواقع، لقد وجدت مكاناً.. ألا زلت مهتمة بالمجيء معنا؟

ـ أوه.. طبعاً.. قطعاً أريد المجيء، أين هو هذا المكان؟

ـ في اسكتلندة.. في مكان ما يبعد أميالاً عن المدينة.

قالت روندا بحماس:

ـ يبدو رائعاً.. أيمكنك تدبير الأمر؟ من يملك المكان؟ أخبريني كل شيء.

أشعلت شيلي سيكارة أخرى:

ـ حسناً.. صديق لي لديه كوخين هناك، ولا أذكر الاسم.. وأستطيع استخدام أحدهما قدر ما أشاء من وقت. كنت أفكر بالذهاب في الأسبوع المقبل، أيناسبك هذا؟

ـ ما رأيك في نهاية الأسبوع التالي.. عندها سينوضح كل شيء.

ابتسمت شيلي:

ـ هذا يناسبني.. ما أحسن أن يبتعد المرء عن كل شيء لفترة ما.. وشكراً لك روندا..

ـ أرجو أن يكون الطقس مناسباً.. يمكننا الذهاب في نزهات ورحلات سير طويلة.

وصل نينو بعد عشر دقائق ليطلب القليل من السكر ودعته روندا

للغداء، مما أفرح الولدين وكانت مناسبة سعيدة، وسرّت روندا لرؤية شيلي تضحك..

في اليوم التالي، أحست روندا بنشاط بما يكفي لتقرأ مسرحية درو ماتيوز.. فأنهتها بساعات.. وأحبتها جداً.. كانت الشخصية الرئيسية امرأة، وكتبها بمعرفة عميقة وخبرة. كان في المسرحية دفء بالرغم من نهايتها الحزينة، وكان أبطالها يتمتعون بشخصية مميزة جعلتها تعيش وتتنفس معهم وهي تقرأها.. في النهاية بكت، كانت غاضبة للظلم الذي لحق بالشخصية الرئيسية بسبب الظروف، ومن الناس.. وأحست روندا بدوار وهي تضعها جانباً، مشدودة إلى القوة والحنان اللتين في الرواية.. وتشكلت عندها أفكار عن الرسومات التي ستنفذها بسهولة في دماغها، وتخيلت الصور التي تتطلبها بالضبط، كما قال لها درو.. لكن تلك الأفكار تلاشت أمام التفكير بالرجل الذي كتب الرواية.. ورغبت في أن تعرفه أكثر، تعرف عن صداقاته، وعلاقاته.

أصابتها رجفة بالرغم من حرارة الغرفة، وأخذت ورق رسم وقلم، لتمرّ أصابعها فوق الورق تجسد أفكارها المختبئة.. وكان الرسم سهلاً، غريزياً، ومكتملاً تقريباً.. مع ذلك فقد أحست بالإرهاق عند انتهائها.. وصنعت بيضاً مخفوقاً لغدائها، لكن رائحته جعلتها تقرف فرمته. مشت في الغرفة بغير ارتياح، لا تفهم سرّ مزاجها المتقلب. أخيراً أمسكت سترتها يائسة وقررت الخروج لتتمشى وتروّح عن نفسها.

كانت الموسيقى تأتي من شقة نينو، وتوقفت لحظة مع وصولها أسفل السلم، تريد الدخول للحديث معه، وأن تطلب منه الخروج للتمشي معها.. لكنه أحد مشاكلها، وأكثر من ذلك لا تريد أن تؤلمه.. هكذا تجاوزت بابه وخرجت من الباب الرئيسي لوحدها.

سارت في الشارع، تنوي الذهاب إلى الحديقة العامة. وأمام بركة صغيرة جلست تحدق في المياه البنية، بدا لها وكأن السماء ستمطر.. وأخذت تراقب البط والإوز في البركة، ورأسها مليء بأفكار ضبابية. أحست أن شخصاً جلس إلى جانبها، لكنها لم تنظر إليه إلى أن قال بصوت منخفض:

ـ مرحباً روندا.

أدارت رأسها بانفعال، والتقت عيناها بنظرة درو ماتيوز الحادة.. واستدارت بسرعة مماثلة دون أن تجيب. كرهت دقات قلبها السريعة والاحمرار الساخن الذي يتملك وجنتيها، سمعت تكتكة ولاعته، ثم سألها:

ـ سيكارة؟

قالت باختصار تنظر إلى الأمام:

ـ لا.. شكراً.

تناهت إليها رائحة التبغ الفرنسي الذي يدخّنه.. إنها لا تريد أن تتكلم معه. استدارت مسرعة تنوي السير مبتعدة.. وبنفس السرعة تحرك درو ليطبق يده على ذراعها، يجذبها بلطف إلى جانبه مجدداً.

اختفت أنفاسها وهي تسأله:

ـ من تظن نفسك؟ دعني!

للحظات، نظرت إليه بشراسة، تستوعب تقاسيم وجهه القاسية، وعينيه الحادتين الموجهتين وتملكها ضعف غريب.

ابتسم لها:

ـ لقد مررنا بكل هذا من قبل، كما أذكر.

ـ درو.. أرجوك..

ـ كان يجب أن أعتذر لك عن ذلك اليوم.. كنت سيء الخلق فظاً، أنا آسف.

ردت بسرعة تخفي توترها:

- لا يهم.

- أوه.. بل يهم صغيرتي، وأريدك أن تسامحيني.

ابتسمت له، فالتمعت عيناه بشكل مثير للاضطراب.. قالت تبحث عن أي شيء تتكلم عنه:

- أنا.. لقد.. قرأت الرواية. أعجبتني كثيراً.. لكن لماذا هي حزينة جداً؟

- الحياة حزينة، ألم تعرفي ذلك بعد؟

- لكنني أفضل النهايات السعيدة.

- وأنا كذلك.. هل تناولت الطعام؟

بدأ المطر خفيفاً، ونظر إلى السماء السوداء. فقالت:

- في الواقع لم آكل.. صنعت بيضاً مخفوقاً، ولم أستطع أن أتناوله.

- يمكننا أن نأكل سوية..

- سيعجبني هذا.. أجل.

وقف ينمطى بكسل وكأنه يعرض جسده الرشيق أمام نظر روندا. ومدّ يده إليها، ووقفا ينظران إلى بعضهما.. واشتدّ المطر.. ورفع درو رأسه بسكون، عيناه قاتمتان وجادتان، إلى أن ابتسم وراح يمسح المطر عن وجهها الصغير.

- لقد تبللت.

مدت يدها إلى شعرها:

- هذا صحيح.

وضحكت.. ضحكة مجلجلة، أدركت أنها كانت نابعة من سعادتها المطلقة.. لقد عاد كل شيء كما كان بينها وبين درو، وذهب الأسى عنها.

اتجها معاً إلى سيارته يداً بيد.. وقال لها:

- يجب أن تغيري ملابسك قبل الغداء، وإلاّ ستصابين بنزلة صدرية.

أدارت عينين براقتين إلى وجهه:

- لديّ فكرة أفضل.

- ما هي؟

- ما رأيك بمكنتني صنع البيض المخفوق مرة أخرى، وربما تكون الوجبة شهية أكثر من التي سبقها، ويمكنك مشاركتي بها.

وكانت هذه أول دعوة له.

- يبدو لي هذا رائعاً.. سأشتري بعض الفاكهة ونحن في الطريق.

- مع البيض؟

- ولمَ لا؟

كان نينو يغادر المنزل حال وصولهما، وتجمدت عيناه حين لمح يد روندا في يد درو.. وسألته بابتسامة:

- إلى العمل؟

أدار عينيه نحو السماء:

- وما غيره؟

كان صوته معبراً جداً مما أضحكها، فأحست بأصابع درو تشدّ على أصابعها وتؤلمها.. عرّفت الرجلين إلى بعضهما، وهي تعتذر مرة أخرى لفظاظتها في المرة السابقة. وكان درو مهذباً، فاتناً، يبدي إعجاباً صادقاً بالجدارية التي رسمها نينو في الردهة.

تجاذبوا أطراف الحديث خمس دقائق تقريباً، ثم نظر نينو إلى ساعته:

- يجب أن أسرع.. لدي موعد في الثانية والنصف. أوه.. على

فكرة روندا، اتصل لوك وترك رسالة لك يقول فيها إنه مسافر إلى روما بعد الظهر، ولن تستطيعي الاتصال به قبل ثلاثة أسابيع.. إذا أنهيت الرسومات قبل هذا، سلميها مباشرة إلى درو.

سار نحو سيارته، وروندا تقول له:

- لا بأس.. أراك فيما بعد.

- أجل.. أراك فيما بعد طفلتي.. وداعاً درو.

نظرت إلى درو وهما يصعدان السلم.. كان مقطباً، يكتم غضبه.. فسألت:

- هل هناك ما يغضبك؟

جاء الرد الخشن: إنّه غبي.

ذُعِرَت روندا.

- نينو؟ ليس غبياً.. بل هو رجل طيّب، وفنان لامع.

ردّ متهكماً: وكحبيب؟

ردّت بوقار:

- لست أدري.. أتعتقد حقاً أنني قد أقول لك لو كنت أعرف؟

لمعت عيناها البنفسجيتان غضباً، فنظر إليها لحظة:

- يا إلهي.. أنا آسف.. ملاحظة لا داعي لها أبداً.. ربما أرى نفسي متلبساً في عينيه حين ينظر إليك.

- وماذا تعني بهذا؟

ردّ مشدداً:

- افهمي ما شئت.

هزّت رأسها مرتبكة، وفتحت باب الشقة. ما إن ولجا إلى الداخل حتى بادرها آمراً:

- اذهبي وغيّري ملابسك.

تجاهلت أمره:

- هل آتيك بمنشفة أو بشيء آخر؟

هز رأسه، وشعره مبلل، ثم قال:

- هل أصنع لك القهوة؟ الشراب الساخن سيفيدك.

- هذا رائع.. المطبخ هناك.. لكنني لست عاجزة على ماأظن وأنت تعرف هذا.

ابتسامته قلبت كيانها. قال بنعومة، ساخراً:

- ربما أرغب في أن أعتني بك.

- لن أصدق هذا لحظة واحدة..

اتجهت إلى غرفة نومها مرتبكة دون انتظار الرد.

حين عادت بهدوء إلى غرفة الجلوس، كان درو يقف قرب النافذة، يدخن بكسل وينظر إلى الخارج، يراقب المطر، راقبته روندا بإعجاب، بكل ضمت، إلى أن أحسّ بوجودها، فاستدار ببطء، عيناه الرماديتان أسرتاها، جف فمها فجأة فسألت:

- هل.. أستطيع تناول بعض القهوة؟

أشار إلى كرسي:

- اجلسي وسأصب لك فنجاناً.

فعلت ما قاله لها.. وجلست على الكنبة الحمراء بينما كان يصب القهوة.. راقبت يديه القويتين السمراوين.. أفكار خطيرة مجنونة انتابتها، فسارعت إلى دفعها بعيداً عن رأسها.. وهي تشرب قهوتها، لم تستطع منع نفسها من مراقبته عن كثب من تحت رموشها.. وبدا لها مسترخياً تماماً، وجهه القاسي خالٍ من التعابير، وعيناه الرماديتان ضبابيتان، تخفيان أفكاره.

قال بلطف يقطع الصمت بينهما ويحاول إراحتها:

- أخبريني عن نفسك.

- لا أظن أن هناك شيئاً يستحق الذكر.. لا مغامرات كبيرة، أو

www.rewity.com

دراما.

ـ آه.. لكنك قد لا تعرفين.. أخبريني عن عائلتك، عن طفولتك.

هكذا حدثته روندا عن أبويها، اللذين يعيشان الآن في نيويورك، وعن مارغو، وزوجها، ثم عن طفولتها التي تتذكرها بشكل سعيد ومستقر.. وأدهشها أنها أثارت اهتمامه، وأصغى إليها بحذر وعيناه تركزان عليها.

حين لم يعد لديها ما تفكر به حول نفسها قالت لدرو:

ـ جاء دورك الآن.. ألديك إخوة وأخوات؟

ـ لدي أخ، لكنني لا أعرف عنه شيئاً.

ـ لكن.. لماذا؟

ـ انفصلنا ونحن طفلين.. ولم أره منذ ذلك الوقت، وكنت في الرابعة، حاولت إقتفاء أثره لكنه بدا وكأنه اختفى عن وجه الأرض، بعد سن الخامسة والعشرين.

ـ وماذا عن والديك؟

ـ لقد تخلى عنّا والدي بعد ولادتي، ومرضت أمي. بعد سنوات أصبحت عاجزة، غير قادرة على الاعتناء بنفسها، أو الاعتناء بالطفلين.. هكذا انتزعت وأخي منها، ولسبب ما وضعنا في منزلين منفصلين.. وماتت حين بلغت الثامنة.

كان مختصراً في كلامه، ودون أي تعبير.

همست روندا وقد هزتها قساوة طفولته:

ـ يا إلهي.. هذا أمر فظيع.. وأنا آسفة.

قال دونما اكتراث:

ـ لا تأسفي.. كان هذا منذ سنوات طويلة.. لا أكاد أذكرها.

صمتت روندا.. أرادت أن تطرح عليه المزيد من الأسئلة،

لتعرف المزيد عنه.. لكنها أحست أنه لا يريد الكلام عن نفسه.. وحاولت أن تتصوره طفلاً صغيراً لكنها لم تستطع.. وتلوى قلبها على ذلك الصبي الذي كان.. لكن نظرة واحدة إلى الرجل قالت لها إنه لن يقبل الشفقة أو الحنان.. إنه قاسٍ، جلفٌ شديد الثقة بنفسه، ويمكنه تحليل مشاعر بقية الناس ودوافعهم بسهولة.

أكمل قهوته وسأل:

ـ هل كنت أتخيل أم أنك حقاً عرضت عليّ نصف طبق بيض مخفوق حين كنا في السيارة؟

قفزت واقفة، تقول ضاحكة:

[illegible] سرها على الفور.

[illegible] بها ثم استند إلى الخزانة الخشبية وسأل:

هل أستطيع المساعدة؟

هزت رأسها متوترة:

ـ لا.. لا أظن هذا.. أنا أستطيع صنعها دون مساعدة.

وقف يراقبها، وسرعان ما تلعثمت ووقعت شوكة الخفق من يدها، فقالت يائسة:

ـ أرجوك، لا تراقبني.. هذا يجعلني متوترة.

تقدم نحوها، بربت على كتفيها، ويديرها نحوه.. وتسارعت دقات قلبها بجنون.

ـ ألا زلت خائفة مني؟

ـ أحياناً.

رفع حاجبيه دهشة:

ـ هل أحضر المائدة؟

تغيير الموضوع الكامل أراحها:

ـ أجل.. إذا أردت.

www.rewity.com/vb
RAHEEN

قال محذراً بابتسامة مداعبة:

ـ لكن هذا لن يشغل بالي عنك، عيناي ربما.. لكن ليس تفكيري.

لم تستطع إلا أن تضحك: أنت مستحيل!

ـ وأنت لم تعودي متوترة.

استدارت مجدداً لتحضر البيض المخفوق، ولتحس بسعادة مجنونة.

ـ لا!

أنهيا طعامهما بسعادة. ثم قال معلقاً وهو يأخذ سيكارة:

ـ بيض رائع..

ـ شكراً لك.

وأحست برضى رائع في صحبته.

وهما يشربان القهوة، حثها على الكلام عن نفسها مجدداً.. عن آمالها وأحلامها ومخاوفها. إلى أن أدركت أنه أصبح يعرف عنها أكثر مما تعرفه هي.. وأحست أنه قادر على قراءة أفكارها على أي حال.. إلاّ أن هذا لن يهمها أبداً.

قالت له إنها رسمت بعض الخطوط الأولية لكتابه، وسألت ما إذا كان يرغب في رؤيتها، لكنه رفض. قال لها إنه يريد النتيجة النهائية فقط، وسيبقى هذا سرّ إبداعها، ينمو ويتطور إلى شيء مكتمل.. ولم تكن قد فكرت بمثل هذا من قبل، لكن وهي تفكر وافقت معه، وكانت سعيدة لأن عنده هذه الثقة بها.

أصرّ درو على غسل الصحون.. وترك روندا ترتاح فوق المقعد.

فجأة كان يقف أمامها يحدق إليها، ليقول بصوت جاد، ورنة اكتئاب عميقة:

ـ روندا.. يجب أن نتحدث قريباً.. عنك وعني.

لم تفهم، وسألت، تحس بقلق حاد يشد معدتها:

ـ ماذا هناك لنتكلم عنه؟

رفع حاجبيه الأسودين: ألا تعرفين؟

قالت مذعورة بصوت منخفض:

ـ لا أريد أن أعرف.

ـ روندا..

ـ لا.. لا أريد الكلام.. ضمني إليك.

سمعته يتمتم اسمها وغابت بين ذراعيه، يشدها بقوة إليه.. فتجاوبت معه كأنها خائفة بشدة أن لا تراه بعد اليوم.. لا شك أن هذا ما يريد الكلام عنه، وهذه الفكرة آلمتها كثيراً.. مرر أصابعه بلطف على شعرها.. متمتماً بصوت أجش:

ـ تبدين كطفلة وشعرك مرفوع إلى الوراء هكذا.. طفلة حلوة مرغوبة.. أنت جميلة!

تسللت أصابعها إلى شعره.. وبدأ قلبها يخفق بعمق وضعف.

غمرتها المشاعر، تقلب الدم في عروقها إلى نار.. فجأة همس بصوت عميق:

ـ روندا..

وأمسك بيديها يثبتهما.. وأخذ نفساً عميقاً وتركها يتحرك مبتعداً برشاقة، ليشعل سيكارة.. أحرقتها نظرته إليها.. أحست بضعف، بألم، وبارتباك. فتلفظت باسمه بصوت متوسل، تريد أن تسأل لماذا تركها، لكن، دون أن تعرف كيف تسأل..

استدار ينظر إليها.

ـ لا تنظري إليّ هكذا.. فأنت لا تعرفين ما تفعله نظرتك بي.

قالت، بابتسامة حلوة غريبة في براءتها:

ـ لست طفلة درو.. أعرف تماماً ما أفعل.

تنهد بثقل:

ـ لا.. لا تعرفين.. يجب أن أذهب.

همست، غير قادرة على التفكر السوي:

ـ أرجوك.. لا تذهب.

أخذ درو يتمتم من بين أنفاسه، ثم قال لها:

ـ روندا.. لا تجعلي الأمر عليّ أكثر صعوبة مما هو.. يا إلهي.. هل تظنين حقاً أنني أريد أن أتركك؟ صدقيني لا.. لكن، يجب أن أذهب.

أدارت وجهها عنه متألمة جداً.. إنه غاضب ولا تعرف لماذا، وأحست فجأة بالدموع على وجهها.. دموع لم تلحظ أنها بدأت.

تقدم درو إليها.. ركع أمامها، يرفع وجهها إليه:

ـ لا تبكي روندا.. لا شيء يستحق البكاء.

نظرت إليه تسيء فهم كلامه:

ـ ربما ليس بالنسبة لك.

ومسحت وجهها المبلل بظاهر يدها..

ـ لو حدث شيء بيننا الآن، فستكرهينني فيما بعد. وأنا لن أتحمل هذا.

شهقت مشدودة إلى وجهه:

ـ وكيف تعرف؟

ـ لأنك لا تريدين علاقة عابرة، قلت لي هذا، ولا شيء غير هذا عندي أعطيه لك.. براءتك تأسرني، وأجد نفسي غير قادر على التحمل.

كان لكلامه وقع قاسٍ عليها، أطفأ على الفور نار مشاعرها.. لقد رفضها بأقسى طريقة ممكنة، بتذكيرها أنه غير حرّ.. أحست

بالحرج والذل، والكراهية. وأدركت في أقل من لحظة أنها تحبه.. فات أوان النسيان، لقد وقعت بعمق في حبه، وسيبقى في قلبها حتى الممات.. وكيف أستطيع أن أحبه؟ سألت نفسها يائسة.. كيف؟

سألته ببرود:

ـ أتشعر بعقدة ذنب نحو زوجتك؟

تلاشى الحنان من عينيه، وقال بخشونة:

ـ أيتها الخبيثة الصغيرة.. أتشعرين أنت بهذا؟

ردت ببرود تقصد إيلامه:

ـ لست مضطرة.. إنها ليست مشكلتي.

وقف درو ببطء، وقال ببرود:

ـ لا.. فمشكلتك على ما يبدو هي الإحباط وحاجتك إلى العقل السليم.

ردت بغضب أشعل وجهها:

ـ أوه.. أيها القذر!

قفزت واقفة، تحاول صفعه.. لكنه كان أسرع منها، قبضته قاسية مؤلمة وهي تلوي يدها بعيداً.

قال محذراً بهدوء:

ـ أنصحك أن لا تحاولي هذا مرة أخرى.

قالت بلؤم:

ـ لن تصدق كم أكرهك. أتمنى لو أنني لم أقابلك!

كان صدق كلامها يحترق في عمق عينيها البنفسجيتين، ورأت وجهه أغبراً وكأنها صفعته حقاً.

ترك معصمها، واستدار يتحرك إلى النافذة:

ـ لم يكن لدي هذا الانطباع وأنت بين ذراعي منذ لحظات.. ولا حين توسلت لي أن لا أذهب..

ارتعبت:

ـ وهذا يعني أنك خبير في الإغواء.. تهنئتي لك.. لقد جعلتني أستجيب لك.. لكن هذا بالتأكيد لا يجعلني معجبة بك.. بل يجعلني أكره نفسي.. أجل.. اذهب الآن.. وأرجوك، لا تعد إلى هنا مرة أخرى.

استدار درو مع وصوله إلى الباب، كلام على فمه الغاضب، بدا وكأنه على وشك قول شيء.. لكنها صاحت قبل أن تتاح له الفرصة:

ـ اذهب من هنا!

وأحست بشوق شرس، غادر، يحثها للاندفاع إليه، للإحساس بدفئه مرة أخرى.

نظر إليها لحظات أطول.. ثم سار خارج الغرفة، خارج حياتها، بصمت مثلج قاسٍ.

* * *

٥ ـ جراح لا تشفى

جلست روندا بعد خروجه لساعات، ساكنة وحيدة حيث تركها درو تماماً.. إنها نهاية سريعة.. لقد غيّر حياتها، وخرج من تعارفهما القصير دون أن يمسّ، بينما وقعت هي في الحب لأول مرة، وللمرة الوحيدة في حياتها.. كان يتملكها إحساس رهيب أنها لن تحب مرة أخرى.. كان في قلبها غصة تجثم على صدرها.. ولم تستطع البكاء لترتاح منها.. وفكرت بالكلمات الجارحة والقاسية التي قالتها له.. لقد أثارت غيظه كثيراً.. وحين فكرت بالأمر بهدوء، عرفت أنه محقّ ولا لوم عليه. إنه الآن يكرهها، والأذى حصل، ولا شيء يغير هذا، ولا حتى حبها له.

الحب؟ كيف يعرف طريقه إليها وهي التي صممت على مقاومته فيما لو اعترضها؟ لقد كانت في غاية الحذر لسنين، أن لا تكرر غلطتها.. مع ذلك، وخلال أيام، سقطت كل المحاذير.

كانت في السابعة عشرة، صغيرة جداً، حساسة وبريئة، شخصيتها في طور التشكل. بالطبع لم تعد تشعر بالألم الآن، لم يكن ذلك حباً، لكنه يومها غيّر حياتها، وأثر على شخصيتها إلى الأبد.. وكانت لا تزال تذكر وجهه الضاحك.. لا شيء يزعجه، وكانت روندا تقضي إجازة الصيف مع ابنة عمها في مزرعة عمها في «لايك ديستركت». كان باري عاملاً صيفياً، جوالاً.. سحرها وآمنت

بكل شيء قاله لها. كان يكبرها بكثير، أكثر خبرة.. ولقد جعلته روندا مثالها الأعلى حتى آخر أمسية مريعة.. متأكدة أنها موضع اهتمامه كما تهتم به.

طوال السنوات التي تلت، كانت لا تحتمل التفكير بالأمر.. لا تزال تتذكر مخزن التلال المظلم الرطب، ورائحة القش النفاذة، وعينا باري.. لم تكونا ضاحكتين، بل قاسيتين متحجرتين.. سمّاها المزعجة وأسماء أكثر سوءاً وهي تقاومه.. خوفها كان ممتزجاً بالحيرة والارتباك المدمر، وهي تقاوم صارخة.. وسارع عمها ومدير المزرعة لسماع صوتها، وجذبا باري بعنف عنها.. ولحسن حظها أنهما سمعاها.. ولولا هذا..

وعادت إلى لندن في اليوم التالي، فتاة مختلفة، منعزلة، متحفظة، متشككة.. ولم تعد تثق بحكمها على الناس.. لكن درو ماتيوز، تمكن من اختراق كل الحواجز دون مشقة، كما يبدو لها.

ولهذا تصرفت معه بعدائية، وقسوة.. فقد ظهرت مجدداً إلى العالم المحيط بها وخرجت من عزلتها وهذا ما آلمها.. مهما كانت مخطئة، كان من السهل جداً إلقاء اللوم على درو، كما تفعل الآن.

هكذا بقيت جالسة لوحدها والظلام يهبط.

قرع نينو بابها لكنّها لم ترد.. لم تكن قادرة على مواجهة أحد.. كانت متعبة وأخيراً وقفت على قدميها، التقطت مسرحية درو، وذهبت إلى السرير.. بائسة أكثر من أي وقت في حياتها.

ولم تكن أفضل حالاً في الصباح التالي.. وتساءلت ما إذا كان لا يزال يريد رسوماتها أم لا.. لكن لا بأس، فهي سوف تقوم بعملها وتترك القرار له.. قرأت مقاطع من الرواية أكثر من مرة. وفي النهاية قدرت أنها يجب أن تستجمع قواها، وتنهي الأعمال المنزلية.

اتصلت شيلي بها قبل الغداء مباشرة، تقول باهتياج:

ـ لقد أنهيت كل شيء!

ـ عظيم!

ـ ألا زلت جاهزة لنهاية الأسبوع القادم؟

أسرعت روندا، تتخذ قراراً مفاجئاً:

ـ يمكننا الذهاب قبل هذا لو شئت. ما رأيك بالثلاثاء أو الأربعاء؟

ساد الصمت برهة بينهما، أكملت شيلي بعدها:

ـ روندا.. هل كل شيء على ما يرام؟

ابتسمت روندا: أجل.. بالطبع.

لم تقتنع شيلي.. لكنها لم تعلق، وقالت:

ـ كلما كان أسرع كان أفضل لي.. أنت تعرفين هذا.

قالت روندا بلهفة:

ـ الأربعاء إذن؟

ـ أجل، هذا يناسبني.. سأقوم بالترتيبات منذ الآن؟

قررتا السفر إلى اسكتلندة في سيارة شيلي، وأن تأخذا كمية من الطعام معهما كاحتياط، في حال كان هناك صعوبة في الحصول على المؤن.. وسألت شيلي:

ـ على فكرة.. كيف حال عملك مع درو ماتيوز؟

ـ لم أبدأ به فعلاً.

ـ هل علاقتك معه أفضل؟

ـ لا.. لا أريد الكلام عن درو..

ـ أوه.. روندا، أنا آسفة..

ـ أنا آسفة أيضاً.. أراك يوم الأربعاء.

وأملت أن تفهمها شيلي على أي حال.

خلال الأربعة أيام التالية بانتظار الموعد اعتكفت روندا في

www.rewity.com

المنزل لإنهاء رسومات درو. . عملت طوال النهار وجزءاً متأخراً من الليل، كانت وهي تعمل تقرأ المسرحية باستمرار، إلى أن حفظت مضمونها عن ظهر قلب. . وأخذت رسمة الغلاف تتطور وهي تعمل عليها، وتتحول إلى شيء مذهل، لم نصدق أنه عملها. لم تستغرق يوماً بعمل كهذا. . والنتيجة كانت رائعة، أفضل عمل لها على الإطلاق رسمته بإتقان، مع إحساس عاطفي في محتواه.

في اليوم الرابع، وقد وضعت آخر لمسة فرشاة، جلست في كرسيها متعبة جداً، رفعت الرسم على لوحة العرض تنظر إليه. . واقتنعت به، أجل. . لقد كان هذا العمل الأكثر صعوبة، والأكثر اكتمالاً.

وقفت على قدميها مترنحة، تنظر إلى ساعتها، إنها العاشرة ليلاً! تكاد تموت تعباً، شربت بعض الشاي، ثم رمت نفسها في الفراش لتنام أربعة عشر ساعة.

حين استيقظت في اليوم التالي، أحست بالانتعاش والسعادة، رغم اكتئابها. . فالتفكير بدرو لم يترك رأسها. . لكن إنهاءها للرسم جعلها تبتسم وهي تقفز من السرير. . إنه يوم مشرق مشمس، يوم رائع لإعادة التواصل مع العالم الخارجي. . فقد كانت طوال فترة عملها معزولة تماماً عن العالم تعيش مع الرواية.

أخذت حماماً ساخناً معطراً. . ثم جففت نفسها وارتدت بنطلوناً بنياً وقميصاً حريرياً مناسباً. ووقفت أمام المرآة تضع زينة وجهها. . رأت حول عينيها بقع سوداء، وعلى فمها بؤس غامض. . هزت كتفيها ونزلت لترى نينو، آملة أن يقدم لها الفطور فليس في مطبخها كسرة خبز.

كان نينو يعمل على منضدة عمله. . يزفر أنفاسه ويكور الأوراق ويرميها بانزعاج في سلة المهملات.

دسّت روندا رأسها من الباب بعد أن لم تتلق رداً على قرعها: هل أقاطعك؟!

انتعش وجهه النحيل بابتسامة دافئة.

ـ أبداً! في الواقع لقد أنقذت حياتي. . لأنني لو استمريت هكذا وقتاً أطول، فسأفقد عقلي، أدخلي.

ـ في الواقع إنّ ثلاجتي فارغة. . فهل عندك شيء من الفطور.

ـ وماذا ترغبين؟ بيض؟ توست؟ أو أي شيء آخر.

ـ يكفي التوست. . مع بعض القهوة.

اختفى في المطبخ قائلاً:

ـ انتظري خمس دقائق وتصرفي كأنك في بيتك.

ابتسمت وصاحت:

ـ ماذا تفعل؟ ما الذي يسبب لك كل هذا العذاب؟

ـ مسحوق صابون. . إنه لا يلهمني بشيء.

ضحكت روندا:

ـ ستصل إلى ماتريد في النهاية.

ـ أتظنين ذلك؟ في الوقت الحاضر أشعر وكأنني لا أريد رؤية علبة مسحوق بعد اليوم.

ودخل يوازن صينية مليئة بيد واحدة. وضعها وجلس قبالة روندا وأعطاها طبقاً فيه قطع توست تبعث الشهية:

ـ هذا عسل. . إنه جيد لك.

ـ لا أستطيع أكل كل هذا.

ـ سأساعدك إذن.

صبّ فنجانين من القهوة بينما روندا تدهن طبقة العسل فوق الخبز. . وقالت بعد القضمة الأولى:

ـ رائع. . شكراً لك.

ابتسم نينو:

ـ من دواعي سروري. لم أرك منذ زمن، أين كنت؟

ـ مغلولة إلى منضدتي أعمل. حبست نفسي أربعة أيام.. كنت أعمل في رسومات درو ماتيوز التوضيحية.

ـ جيد.. وهل أنهيتها؟

هزت رأسها:

ـ وأحسّ بالإعجاب بها، إنها أفضل عمل قمت به حتى الآن.. لقد استحوذت علي تماماً، ووسعت موهبتي وتفكيري.

ـ أيمكن أن أراها؟

ـ أجل، اصعد معي بعد الفطور.

صب المزيد من القهوة لهما معاً:

ـ تستحقين ليلة في الخارج.. ما رأيك أن نخرج معاً؟

ـ أجل.. في أية ساعة؟

أنهيا فطورهما المتأخر، ولحق بها إلى فوق ليرى لوحتها.. كان أول شخص يراها، وحبست أنفاسها وهو يرفعها أمامه بحذر ويسير بها إلى النافذة، ليتفحصها في ضوء النهار.. من المهم جداً أن تعجبه.

أخيراً نفد صبر روندا فسألته: كيف رأيتها؟

ردّ صادقاً:

ـ إنها جميلة.. رائعة.. لم أقرأ الرواية، لكن الصورة..

صرخت بحماس:

ـ أوه.. شكراً لك.. كنت خائفة أن لا تعجبك فيما لو أخطأت مخيلتي!

ابتسم:

ـ حسناً.. لقد أصابت.. رسم غير معقول طفلتي.. وأوافقك

القول، أنها أفضل أعمالك.

تنهد ونظر إلى ساعة الحائط:

ـ لكن من الأفضل لي أن أعود إلى مسحوق الصابون!

المشكلة الآن أنها تجد صعوبة في إخراج درو من تفكيرها.. وبدأت توضب الرسم، يجب أن توصله له وفي أسرع وقت.. عندها سينتهي الأمر حقاً..

كان العنوان في منطقة فخمة جداً من لندن، وطلبت سيارة أجرة توصلها، وأحسّت بالتوتر وهي تشعل سيكارة وتنتظر.. هل سيكون في المنزل؟ لا تظن نفسها قادرة على مواجهته.. لكن، آه.. كم تشتاق لرؤيته.. ولو من بعيد.

أخيراً وصلت، وبسرعة أكثر مما توقعت كانت تدفع الأجرة للسائق، وتخرج من السيارة..

تملكها الذعر وهي تتجه نحو منزله الذي كان كبيراً وقديماً.. وقفت أمامه تتفحص العنوان على البطاقة بحذر، ثم دقت الجرس وهي تصلّي أن لا يرد عليها درو بنفسه.. فقد تلاشى كل شوقها السابق أمام موجة الخوف التي انتابتها.. اللعنة على لوك لقد سافر وهي في أمس الحاجة إليه! لم تلحظ أي دليل على الحياة في الداخل، رنّت الجرس مجدداً متمنية أن تكون رحلة لا طائل منها، وأن تضطر إلى العودة مجدداً.

استدارت عن الباب، تنظر إلى الشارع الهادىء.. تتساءل عما عساها أن تفعل.. وارتجفت وهي تسمع صوتاً نسائياً فرنسي اللكنة يقول لها:

ـ هل أستطيع مساعدتك؟

استدارت لترى أمامها إيڤا بلانكان، جميلة مذهلة في غلالة نوم زرقاء.

كان هناك دليل سأم في عيني الفرنسية وهي تمرر يدها في شعرها الناعم الأحمر البني، وتكرر:

ـ هل أستطيع مساعدتك؟

تجمد الكلام على فم روندا، وكأن إيفا بلانكان قد عرفت شيئاً:

ـ آه.. الآن تذكرت. في المطعم.. أنت هنا لرؤية درو؟ إنه..

قاطعتها روندا، وقد انطلق لسانها فجأة:

ـ لا.. لا أريد رؤيته.. لكنني أسأل ما إذا كان بالإمكان أن أترك هذا له.. سيعرف ممن. الأمر مهم جداً.

أعطتها اللفافة وهي تدرك تماماً أين هو درو ماتيوز الآن.. لا شك أنه ينتظر عودة حبيبته الفرنسية الرائعة.

سألت إيفا بفضول:

ـ هل من رسالة؟

ـ لا.

استدارت روندا تفكر بالغلالة الحريرية الزرقاء للمرأة. إنها تصيبها بالغثيان، وأكملت:

ـ أرجو أن تعطيها له.

ـ أجل.. سأفعل..

تماسكت روندا مجدداً وهي تنظر إلى عيني الجميلة الزرقاوين.. قائلة بهدوء:

ـ شكراً، وداعاً.

كادت روندا تشهق من ألم فكرة أنها ما إن تغادر حتى تعود هذه المرأة إلى أحضان درو..

شردت في شوارع المدينة لساعات، لا تحس برغبة في العودة إلى المنزل.. وتفكيرها يدور في دوامة. لماذا أصيبت بالصدمة لكون إيفا بلانكان عشيقة درو ماتيوز؟ لقد شاهدتهما قبل الآن في

المطعم في ذلك اليوم الأول، ورأت كيف كانت الفرنسية تقبض على ذراعه.. الآن تأكد لها.. واشتعلت الغيرة في صدرها.. وأدركت أن درو ماتيوز ليس أكثر من عابث، قذر، غير مهتم!

يقال إن الزمن يشفي كل الجروح.. فهل سيشفي لها جروحها؟ في المستقبل ستنعزل. لقد كانت محقة دائماً بكل توقعاتها.. إن أية علاقة مع رجل ما عدا الصداقة العابرة مقدر لها أن تتحول إلى ألم وكارثة.. وعاهدت نفسها بقوة بأنها لن تسمح بحدوث هذا لها مرة أخرى أبداً.. وانتبهت إلى تأخر الوقت، فعادت إلى منزلها.

ارتدت ثياباً بسيطة للاحتفال تلك الليلة.. فالوقت متأخر ولا يمكنها التراجع، ولا تريد أن تخيب أمل نينو.. شكراً لله أنها ستكون بعد غدٍ في اسكتلندة. ستبتعد، ولا شيء تفعله سوى السير في الريف، الاسترخاء، والجلوس ليلاً قرب النار.. أقفلت سحاب الفستان الضيق، وانتعلت حذاءً أسود عالي الكعب. تركت شعرها حراً، ينسدل على كتفيها.. وربطت ثلاث سلاسل ذهبية حول عنقها.

كان نينو ينظر إليها بإعجاب قوي وهما يجلسان في المطعم.

ـ تبدين مذهلة.

ـ شكراً لك.

طلبت السلطة وجلست تنتظر وتنظر إلى نينو.. شربت القليل من العصير وهي تفكر بأن تكون متماسكة بشكل جيد، فهذا قد يخفف عنها الألم ويتركها تفكر بالأمسية.

قال نينو فجأة:

ـ نسيت أن أقول لك.. لقد زارك درو ماتيوز بعد الظهر يريد رؤيتك.

جمدت شوكتها في الهواء:

ـ أوه؟ وهل قال ماذا يريد؟

ضحك نينو:

ـ لي أنا؟ أتمزحين؟ لديّ إحساس أنه يرغب في تحطيم أسناني! هذا ما ينتابني عادة وهو قريب مني!

احمرت روندا وأطرقت، تتمتم: أنا آسفة.

لا شك أن درو عرف بذهابها إلى منزله، إلا إذا لم تعطه إيڤا بلانكان الرسم.. هل في الرسم شيء خاطىء؟ ماذا كان يريد؟

سألها نينو بفضول:

ـ آسفة لماذا؟ اسمعي روندا، أعرف أن الأمر ليس من شأني.. لكن ماذا يجري بالضبط بينكما؟

ـ لا شيء إطلاقاً.

كرهت ارتياح نينو وهو يقول:

ـ لقد كان ثائراً كالمجنون.

ـ لا أريد أن أعرف.. أين هي هذه الحفلة؟

ـ في كينغزتون.. الرجل اسمه هارڤي راندال.. لديه مال كثير لا يعرف ماذا يفعل به.. والدليل هذه الحفلة الباذخة.

وعرفته روندا، إنه اسم كبير في عالم الفن.

وصلا بعد العاشرة بقليل، وكانت الحفلة صاخبة ومكتظة.. روندا لم تكن تتمتع بالحفلات كثيراً، ومع انقضاء الليل، أصبحت مذهولة أكثر فأكثر بسبب موافقتها على المجيء.. رقصت مع نينو وتبادلت الأحاديث الهشّة مع أناس عرفتهم، وأناس قُدمت إليهم. إلى أن أصبحت مجهدة وغير قادرة على أن تبدو سعيدة.

شقت طريقها عبر الجموع تبحث عن الهواء والسكون. لكنها وقفت فجأة مسمرة في مكانها، تصلبت وهي تحدق في الرجل الطويل القوي الأسود الشعر الذي قرب الباب.. درو ماتيوز.

تسابقت نبضاتها بسرعة بائسة وهي تتطلع إليه.. بالرغم من ثيابه

العادية كان أكثر الرجال جاذبية.. أنظار الإناث كانت تنصبّ عليه من كل اتجاه.. وكانت معه إيڤا بلانكان، جميلة في فستان أخضر شاحب، ورجل في بذلة سوداء، أسمر الوجه. وكان درو يبتسم للمرأة الفرنسية، يحني رأسه باهتمام، ورجل آخر معه يضحك لشيء قاله.. منذ متى وهو في الحفلة؟ لماذا لم تلحظ روندا وجوده قبل الآن؟ هل شاهدها؟ بيأس أدركت أنه لو كان شاهدها لما تحرك ليتحدث إليها أو يهتم لوجودها، فهو يجد إيڤا بلانكان أكثر إثارة للاهتمام.

تنفست بعمق.. قلبها يضرب بهدوء.. أحست بالألم والغثيان معاً، وكان رأسها موزعاً بين جو الحفلة الخانق، وقلبها المعذب بحب درو والحاجة إليه.. في وقت تقبلت فيه واقع أنها لن تراه مجدداً.. فإن تفكيرها ممتلىء بصورته، وهو يحني رأسه المغرور بوجه مشرق، مبتسم، يصغي إلى ما تقوله إيڤا بلانكان.

لم تستطع العودة إلى الداخل.. فقد اغرورقت عيناها بدموع الأسى وهي تسأل نفسها.. لماذا لا يستطيع أن يحبني أو يهتم بي ولو قليلاً؟ وأنا أحبه كثيراً. أجابها صوت في داخلها: حتى ولو اهتم بك، فسيبقى هناك زوجته، وكذلك إيڤا بلانكان.

أحست بيد تلامس كتفها بخفة، فاستدارت بعينيها الدامعتين وطافت عينا نينو عليها قلقاً.. وسأل:

ـ هل أنت مريضة؟ كنت أبحث عنك!

تمسكت روندا بكلماته:

ـ أظن.. أظن أنني لن أستطيع المتابعة، لديّ صداع.

سألها بلطف: هل نغادر؟

ـ لا أريد أن أحرمك من الحفلة.. أستطيع العودة وحدي إلى المنزل.

وتذكرت فجأة أن معطفها وحقيبة مالها في الداخل وستضطر للدخول ثانية، فتملكها الذعر.

تحول نينو إلى طبيعته الإيطالية، ونظر إليها تكابر دموعها:

ـ لا تكوني سخيفة.. سأوصلك بنفسي.. أتعرفين أن ماتيوز هنا؟

تنفست روندا بعمق: أجل.

ـ هل أزعجك؟

ـ لا.. أرجوك نينو دع الأمر.

لن تستطيع الحديث عنه، ولو فعلت فسينتهي بها الأمر إلى العويل كطفلة.

ـ وكيف أستطيع ذلك.. أحبك وتعرفين هذا.. ولقد لاحظت التغيير فيك.. حذرك، قلقك.

نظرت إلى عينيه مصدومة بكلامه، وملأ صدرها حنو عميق مشفق.. وفكرت وهي تنظر إلى وجهه الجاد، تتمنّى لو تحبه فهي تعرف عذاب الحب غير المتبادل، وما كان يجب أن يحدث لك هذا أيها العزيز نينو.. فأنت لا تستحق.

ـ نينو.. أنا..

قاطعها مبتسماً:

ـ لا داعي لقول شيء.. أخبرتك هذا فقط لأنك تعرفين، ولأنني لا أريدك أن تقلقي، أو أن تفسد الصداقة بيننا. أعرف أنك لا تحبيني ولن تحبيني يوماً، ولست أنوي أن أدفعك لهذا.. عالم مجنون، أليس كذلك؟ أنا أريد صداقتك فهي تعني لي الكثير، ولا أريد إفسادها لمجرد هذه المشاعر المجنونة، فهل تظنين أننا سنقدر على ترتيب شيء ما؟

ـ أنا واثقة من هذا.

لم يدفعها يوماً ولم يحدثها عن مشاعره من قبل، كان يخفيها تماماً مقتنعاً أنها لن تبادله حبه أبداً.. وابتسمت له فجأة.. نعم.. هي ونينو سينجحان كصديقين، وهذا ما تعرفه بالتأكيد.

قالت له:

ـ سنبقى دائماً صديقين.

التقت ذراعيه حولها.. وتعلقت روندا بكتفيه مرتاحة، لا تزال مصدومة برؤية درو ماتيوز.

فصل صوت هامس خلفهما بينهما.. فتحت روندا عينيها المتعبتين، لتجد درو ماتيوز في باب المنزل ينظر إليهما.. واضح أنه كان سيغادر الحفلة، إيفا والرجل ذو البذلة السوداء كانا يسيران في الشارع مبتعدين.. فيما وقف درو جامداً تماماً.. مشدوداً بعنف مجهول.

تصلبت روندا ووقعت يداها عن نينو كحجرين، مما أذهله.. ونظرا إلى بعضهما، عينا درو الرماديتان تلمعان غضباً وازدراءً لها، رأت كل العنف فيه فأطرقت برأسها.

استدار نينو ببطء معترفاً بوجود الرجل: درو..

وضع ذراعه على كتفي روندا وشدها إليه بعد أن أحس بخوفها.. تمتم درو ماتيوز بشيء بارد مهذب لم تفهمه روندا، لكنه تجاهل نينو تماماً وأخذت عيناه تحطمان روندا، تأسران نظراتها يبريقهما، وعنفهما.

استدارت عنه وقلبها يخفق بجنون.. حين استعادت جرأتها لتنظر إليه مجدداً كان قد رحل بصمت ليختفي في ظلام الليل.. إلى حيث لا شك تنتظره إيفا بلانكان.

* * *

www.rewity.com

٦ ـ أين الخطأ

جاء صباح الأربعاء بسرعة، وروندا لم تجهز بعد. كانت تحس بالتكاسل والاكتئاب بعد المفاجأة المثيرة للاضطراب التي صادفتها في الحفلة.

ساعدها نينو على تنظيم أمورها وتوضيب أغراضها.. عندما تجاوزت عقارب الساعة التاسعة، بدأت روندا بالتوتر:

ـ أوه يا إلهي! ستصل شيلي بعد أقل من ساعة!

ومررت يداً مرتجفة في شعرها.. فابتسم نينو:

ـ استريحي.. فكل شيء سيكون على ما يرام.

صبّ لها بعض القهوة، وأعطاها سيكارة:

ـ الآن اجلسي لنرى ما إذا كنت قد نسيت شيئاً.

ابتسمت له شاكرة مساعدته:

ـ لست أدري ماذا كنت سأفعل بدونك!

ارتشفت قهوتها بامتنان.. ضحك بمرح: ولا أنا أعرف.

في العاشرة إلا عشر دقائق كانت جاهزة بشكل غير متوقع، حقيبتاها وصندوق المؤن أمام الباب استعداداً للانطلاق.

أطفأت التيار الكهربائي وأعطت المفاتيح لنينو كي يتفقد المكان في غيابها.. وقالت متوسلة:

ـ ستأتي لقضاء عطلة أسبوع معنا.. ألن تفعل؟.. شيلي

والولدين يحبون أن تأتي إليهم..

سرّته دعوتها:

ـ بالتأكيد.. وسأتصل بك.

ـ آه لقد ذكرتني!

فتشت في حقيبتها عن الرقم الذي أعطته لها شيلي:

ـ.. هاك الرقم في الكوخ.. هل ستتصل؟

دس قطعة الورق في جيبه وهو يهز رأسه، ثم وصلت شيلي كانت تبدو منهكة وعرضت روندا عليها القهوة، لكنها رفضت، لأن الولدين يتشاجران في السيارة، وكلما أسرعوا في الانطلاق كان أفضل.

حمل لها نينو الحقيبتين إلى سيارة شيلي، ووضعهما في الصندوق، وودّع روندا.

ـ كوني سعيدة.. وتمتعي بوقتك.

كانت السيارة تنطلق بهم بعيداً والجميع يلوّح لنينو.. وكانت رحلة طويلة متعبة استغرقت اليوم كله ومعظم المساء.. حتى المحطات المتفرقة التي توقفوا بها للاستراحة لم تساعد كثيراً، وما إن حل بعد الظهر حتى توتر الولدان وصخبا، وأنهكت شيلي وروندا اللتان تبادلتا قيادة السيارة.

أخذت الطرقات تزداد سوءاً وتضيق أكثر فأكثر، وكان الظلام دامساً، أنوار السيارة الأمامية دليلهما الوحيد. وأخيراً كشفت أنوار السيارة عن كوخ عريض أبيض الدهان.. فصاحت شيلي مهتاجة:

ـ لا بد أن هذا هو!

وقفزت من السيارة لتتحقق.

وكان هو.. خرجوا من السيارة يتنفسون بعمق هواء الليل المظلم. كان الهواء بارداً ونقياً وأحست روندا برعشة سعادة تغمرها.

لحقت بشيلي إلى الكوخ تنظر إلى الغرفة المنخفضة السقف.. إنها جميلة.. جدران بيضاء، روافد خشبية منخفضة، نوافذ صغيرة، مقاعد مكسوة بالقماش لها مظهر مريح، أثاث خشبي داكن، مدفئة حديدية تحت رف محفور.. وابتسمت شيلي لها:

ـ رائع.. أليس كذلك؟

كما يجب لكوخ في الريف أن يكون.. واتجهت شيلي إلى الباب بسعادة:

ـ سأذهب لآتي بالولدين.

ولحقت روندا بها: سآتي بالحقائب.

بعد نصف ساعة كان الولدان نائمين في غرفة صغيرة. أشعلت روندا ناراً في المدفئة بينما صنعت شيلي القهوة.. قالت روندا:

ـ إنه قطعاً، يستحق الرحلة.

ردت شيلي، تعطي صديقتها سيكارة:

ـ أجل، فله جو رائع.

مع إنتهاء القهوة وقفت روندا مترنحة، متثائبة:

ـ أنا مرهقة، أترك كل شيء حتى الصباح؟

لم تكن شيلي بحاجة لإقناع كبير.. دخلت روندا إلى غرفتها الصغيرة في الطابق العلوي وبدّلت ملابسها ثم فتحت النافذة وصعدت إلى السرير، كان ناعماً، طرياً، وغرقت فيه، واسترخى جسدها المتعب على الفور.. ونامت حتى قبل أن يلامس رأسها الوسادة.

استيقظت مع الفجر على زقزقة الطيور في الخارج.. وكافحت لتصحو تماماً..

أصغت إلى الطيور تغرد بشكل جميل غير عادي.. ولامس تغريدها شيئاً عميقاً في نفسها.. فجأة أخذت تبكي، تجري الدموع

ناعمة صامتة على وجهها.. لم تكن راغبة في أن تستيقظ لوحدها.. فهي كانت تحلم بدرو، كانا يسيران معاً في غابة مليئة بنور الشمس، مكان رومانسي غير معقول. لقد جعلها تضحك، ثم عادت لتتذكر الازدراء والعنف الذي كان في عينيه آخر مرة شاهدته.. ولم تستطع تحملهما، فدسّت وجهها في الوسادة وعادت لتغطّ في النوم.

عادت لتستيقظ مرة أخرى بعد ثلاث ساعات على منظر تشارلز يحمل فنجان القهوة.

قال ساخراً:

ـ لقد استيقظنا منذ ساعات.

وأخذت فنجان القهوة من يده الصغيرة.

ـ هذا جيد لك!

ـ يجب أن تنهضي من السرير أليس كذلك؟

ـ سأفعل، بعد دقائق.

قال بارتياب وهو يخرج من الغرفة: حسن جداً.

شربت روندا القهوة ببطء، تستمتع بها.. كان يوماً مشرقاً، والغرفة منيرة، باردة بالنسيم الخفيف المعطر الداخل عبر النافذة المفتوحة.. خرجت من السرير نمدّ رأسها إلى الخارج، لتشهق سعادة أمام جمال المنظر الذي واجه عينيها. حديقة عريضة غير مرتبة كانت تمتد من المنزل حتى نهر رائع يجري بسرعة، وعلى بعد خمسين ذراعاً فقط. على ضفة النهر أشجار، من ورائهم تلال وحقول يسرح فيها النظر.. إنه بالفعل مكان ناءٍ متعزل.. بالضبط كما كانت تتمنّى.. ومن يمتلك هذا الكوخ محظوظ.. فالمكان مجدد يحتوي على كل التسهيلات العصرية.. إنه المنزل الذي تتمنّى أن يكون لها مثله على الدوام.. وتذكرت أنها لم تسأل شيلي عن صاحبه.. وستسألها عند الفطور.

استحمت وارتدت بنطلون جينز أزرق، وتي شيرت أزرق قاتم. كان المطبخ خالياً. وجدت ورقة كتبتها شيلي تبلغها فيها أنها أخذت السيارة والولدين إلى أقرب قرية بحثاً عن الخبز والحليب الطازجين.

بعد فطور سريع من التوست والقهوة.. أفرغت روندا حقيبتيها، وسوّت فراشها، ووضعت علبة المجوهرات الفضية على خزانة الأدراج الصغيرة. لمعت العلبة في أشعة الشمس وكأنها الجوهرة الثمينة، لقد حملتها معها دون تفكير، كانت غير قادرة على تركها وراءها.

نزلت إلى الطابق الأسفل، كل شيء حولها كان نظيفاً مرتباً، ثم خرجت إلى الحديقة.. كان الطقس دافئاً.. وأحست بسعادة كبيرة لملمس العشب تحت قدميها بدلاً من الإسمنت.

سارت نزولاً حتى النهر حتى آذى بريق الماء عينيها، وجلست تسند ظهرها إلى جذع شجرة، من الرائع أن يسترخي المرء دون أن يفكر بشيء.. جلست تحت أشعة الشمس.. أجل.. إنها تحتاج إلى هذه الاستراحة.. فأغمضت عينيها وتركت أفكارها تتجه إلى لا شيء، تركز بكسل على هدير ماء النهر المتسارع.

فجأة انتبهت إلى كلبين يركضان نحوها عبر العشب النامي، يلحق بهما شاب طويل القامة. توقف أمامها، على وجهه ابتسامة لطيفة:

ـ هاي.. أرجو أن لا يكون الكلبان قد أزعجاك.

ردت تتفحصه باهتمام: أبداً.

اعتقدت أنه في حوالي العشرين من عمره، شعره البني طويل حتى كتفيه، يبدو شديد الثقة بالنفس وهذا غريب في شخص صغير مثله. كان له وجه قوي وذكي وعينان رماديتان.. وجلس إلى جانبها يدفع شعره عن وجهه.

ـ أنا ويز.

ـ روندا.

ـ هل وصلت ليلة أمس؟

ورمى غصناً صغيراً للكلبين..

ـ أجل.. لكن..

ـ والدي يملك المنزل الذي تقيمون فيه.. هل كل شيء نال رضاكم؟

ابتسمت لطريقته الجادة في الكلام:

ـ أجل. كل شيء على ما يرام. أتسكن في الجوار؟

أشار عبر النهر:

ـ لا يمكنك رؤية المنزل من هنا.. إنه وراء الأشجار تماماً.

أدركت فجأة أن لا لكنة لصوته فسألت:

ـ أنت لست أسكتلندياً.. أليس كذلك؟

هز رأسه مبتسماً:

ـ لقد تربيت في فرنسا.. وأبواي إنكليزيان.. لك نفس لون أمي، وتشبهينها تقريباً وإن كنت أكثر جمالاً بكثير.

كان في كلماته العفوية صدق جميل، واحمر وجه روندا حرجاً. وقالت بارتباك:

ـ شكراً لك.. أتعيش مع أبويك إذن؟

تمدد إلى جانبها، ذراعاه خلف رأسه.. كان في حركاته حيوية طائشة، جذبت عينيها، وذكرتها بـ.. وصدت الفكرة بفزع محموم.

ـ والدي في لندن الآن.. وأنا هنا لوحدي.

أدركت أنها سألته ما يكفي.. وهي لا تريد أن تكون مثل المحققين الإسبان في العهود الوسطى، وأغمضت عينيها مجدداً، تمتمت ناعسة:

ـ الطقس حار جداً.

ضحك ويز:

ـ لن يدوم هذا.. الناس هنا يتحدثون عن فيضانات قبل نهاية الشهر..

ـ إنه تقدير متشائم.. كيف يعرفون ذلك؟

ـ لا أعرف.. لكنهم قادرون على هذا.

ـ لا أصدق.. فالجو هادىء جداً.

ـ هدوء ما قبل العاصفة!

ضحكت: ربما.

استدارت تنظر إليه، وضبطته ينظر إليها، رموشه الطويلة السوداء تخفي عينيه.. فأشاحت بوجهها بعيداً.

سأل بهدوء:

ـ من أين أنت؟

ـ من لندن.. أنا سعيدة للابتعاد عنها. أظنني سئمت العيش في المدينة.

ـ ليست سيئة إلى هذا الحد.. فالمكان لا يهم حقاً، بل الناس فيه.. إذن أنت هاربة.

فكرت بدرو بشوق عارم:

ـ أجل.. أعتقد هذا.

لماذا تعترف بهذا لهذا الشاب الصغير الغريب؟

وضعت يديها على العشب تنوي رفع نفسها لتقف. لكن عشب «القراص» لذعها بحدّة في كل يدها حتى معصمها، ولم تستطع منع صرخة ألم صغيرة.. وأخذت تعتني بيدها مع ظهور الوخز الأبيض. على الفور كان ويز إلى جانبها، قالت شارحة «قراص» وعضّت شفتها من الألم فيما يدها كلها كانت تنتفض وكأنها لامست النار.

تركها ويز مبتعداً، وعاد بعض لحظات يحمل حفنة من أوراق نبات كبيرة خضراء قاتمة.. جلس قربها وأمسك يدها بلطف.

ـ ستزيل الألم.

دعك البشرة المتورمة بالأوراق، وبشكل عجائبي زال الألم.

نظرت إلى رأس ويز المحني، وهو يعتني بيدها.. رفع رأسه يدفع شعره إلى الوراء، فيما أدركت أنها إيماءة شخصية. والتقت عيونهما، وعرفت أنه منجذب إليها.

في ذعر، استدارت عنه تسحب يدها منه، تقول بهدوء:

ـ شكراً.. هكذا أفضل بكثير.

ـ هل أستحق فنجان قهوة؟

لم تستطع سوى أن تبتسم:

ـ أجل.. أظنك تستحق.

وسارا معاً ببطء إلى الكوخ، ولم يكن هناك دليل على عودة شيلي والولدين.. وجلس ويز إلى طاولة المطبخ، وأخذت تطحن حبوب البن فيما كان ويز يراقبها.. ثم سأل:

ـ ماذا ستفعلين وأنت هنا؟

هزت كتفيها:

ـ أقل ما يمكن هو أن أرتاح.

ـ أيمكن أن تخرجي معي في نزهة على الخيل غداً؟

ـ لا أعرف ركوب الخيل!

وجلست أمامه تنتظر الماء ليسخن.. فقال:

ـ يمكنني أن أعلمك.. ستتمتعين بهذا.. أنت شاحبة جداً.

إنه يمازحها، ولمَ لا؟ فصحبته لطيفة.

ـ حسناً.. أجل.. سآتي معك، إذا لم تكن شيلي بحاجة إليّ.

ـ شيلي؟

ـ صديقتي.. لقد ذهبت لتشتري الخبز الطازج.

وضحكا معاً.. شربا القهوة، وتحدثا حول أشياء لا أهمية لها.. ثم وقف ويز يستأذنها:

ـ سأراك غداً، منتصف بعد الظهر، وسآتي بالجياد.

ابتسم لها وسار مبتعداً وهو يصفّر، وراقبته روندا من على الباب.. لقد أعجبها.

عادت شيلي بعد نصف ساعة تبدو محبطة، تصيح بالولدين.. وركضت روندا إلى السيارة لتأخذ علبة المؤن الطازجة من بين ذراعي صديقتها.

ـ كان يجب أن توقظيني.. كنت سأذهب معك.

ردّت شيلي بحزم:

ـ أنت تحتاجين إلى الراحة.

ـ حسناً جاء دورك الآن في الراحة. سأحضر الغداء للولدين وسترتاحين كل فترة بعد الظهر.. موافقة؟

حاولت شيلي الاحتجاج، لكن روندا أكملت:

ـ هيّا منذ الآن! اذهبي وارتاحي، أخرجي للسير، أو أي شيء، لكن أتركي الكوخ والولدين وكل المسؤوليات لي.

ابتسمت شيلي:

ـ شكراً.. أظنني سأتمشّى حتى النهر، إنه يوم رائع. هل أنت واثقة أنك...

ـ اذهبي.. أستطيع تدبير أمري.

دخلت المطبخ، الولدان لأول مرة مطيعان، يسيران خلفها:

ـ أراك فيما بعد!

راقبت روندا صديقتها من النافذة تسير مبتعدة.. شعرت أنهما امرأتان بائستان، تحاولان التظاهر أن لا شيء خاطىء.. لكن لماذا

التظاهر؟ عجباً؟

بعد الغداء نامت ماغي وأخذت روندا مع تشارلز علبة الألعاب التي حملوها معهم. وحملا طاولة إلى الحديقة، وانكبا يلعبان بالأحجية تحت الشمس.. كان ذلك رائعاً ومريحاً للنفس وكان الصبي ذكياً.. وتمتعت روندا بوقتها جداً.

عادت شيلي قبل العشاء أكثر نشاطاً وحبوراً إثر الهواء النقي، بالتأكيد.. حضرت روندا المعكرونة للعشاء.. وجلستا تتحدثان لتمضية الأمسية.. ثم نامتا بعد يوم مليء بالنشاط.

بعد ظهر اليوم التالي وصل ويز في موعده يقود جوادين.. كانت روندا تجلس مع شيلي قرب النهر، صاح تشارلز فرحاً لرؤية الجياد فانتبهت المرأتان.. حجبت روندا الشمس عن عينيها بيدها وهي تراقب تقدم ويز مبتسمة.. حياهما قائلاً:

ـ هاي.. هل أنت جاهزة لأول درس؟

ـ أعتقد هذا..

ونظرت إلى ضخامة الجوادين:

ـ لكنني بدأت أفكر مرة أخرى.

سخرت عيناه منها بلطف:

ـ فات الأوان.

تنهدت ووقفت.

ـ ويز.. أود تقديمك إلى شيلي، ماغي، وتشارلز. هذا ويز.

مدت شيلي يدها مبتسمة:

ـ مرحباً ويز.. هذا ما كنت أحب أن أراه.. هل جعلت روندا توافق حقاً على ركوب الجواد؟

ضحك:

ـ بالتأكيد.. وسترين هذا بعينيك.

www.rewity.com

نظر تشارلز إلى ويز بمهابة:

ـ أيمكن أن أحصل على درس أيضاً؟

ـ نعم بعد أن تنال روندا درسها.

طار تشارلز فرحاً: عظيم!

أمسكت ماغي يد ويز دامعة العينين:

ـ وأنا أيضاً، وأنا أيضاً!

شدّ ويز بلطف على يدها الصغيرة: وأنت أيضاً.

نظر في عيني روندا ثانية:

ـ حسن جداً روندا.. حان وقت التنفيذ.

أجابت متظاهرة بالغضب:

ـ شكراً لك كثيراً!

سارا نحو الجوادين، قال ويز:

ـ هذه لك.

وأشار إلى حيوان بني ضخم.

ـ اسمها «براون» وهي مطيعة جداً لطيفة المزاج.

ـ وضخمة!

هز رأسه ضاحكاً:

ـ ضعي قدمك اليسرى في الركاب، وارفعي نفسك على ظهرها.

وفعلت بسهولة وثبات، كانت على صهوة الفرس تنظر إليه بابتسامة النصر، فقال:

ـ أرأيت؟.. لم يكن هذا صعباً.

ـ لا.

مضت ساعة تعلمت روندا فيها الكثير، واكتسبت بالتدريج الثقة بنفسها إلى أن تمتعت برحلتها. لحظة رعب واحدة مرت بها حين انطلقت الفرس «براون» راكضة وهي تلحق بجواد ويز.. وصاحت

روندا مشلولة بالخوف لأنها لم تستطع السيطرة على فرسها.. فأبطأ ويز من سرعته، وأفهمها بهدوء ما يجب فعله، ومرت لحظة الرعب بعد أن أطاعتها المطية أخيراً.

انتهى بهما الركوب على بعد ميل من الكوخ.. وضاعت روندا تماماً، لكن ويز قاد الطريق إلى النهر، وعادا جنباً إلى جنب تحت الأشجار باتجاه الكوخ.. وأحست روندا بالسعادة.. وابتسمت لويز الساثر إلى جنبها، كان وجهها جميلاً ومتألقاً.

ـ ما أجمل ركوب الخيل.. أشكرك على تعليمي.

نظر إليها:

ـ كانت هذه رغبتي.

وبدا لها شاباً جذاباً قوياً، وكأنه محارب قديم يركب جواده إلى المعركة. قالت ببطء:

ـ أمر لا يصدق، ثلاثة وعشرين سنة لم أمتط فيها جواداً.

ـ وهل عشت دوماً في المدينة؟

ـ أجل.. وأنت؟

ـ عشت في أماكن كثيرة.. لكنني أعتقد أن مدينة «نيس» هي المكان الذي قضيت فيه معظم حياتي.

ـ أتعمل؟

ـ لا.. فأنا حتى الآن لم أقرر ما إذا كنت أريد الذهاب إلى الجامعة أم لا.

ـ كم عمرك؟

ابتسم:

ـ تسعة عشر.. تقريباً.

دهشت.. لسبب ما تصورته أكبر سناً، وهو بالتأكيد يبدو أكبر.. وقالت تعتذر:

ـ أنا آسفة . . لا شك أنك تظنني متطفّلة.

ـ أبداً . . فأنا أحس بالإطراء لاهتمامك.

استدار عند زاوية في النهر، وبرز الكوخ للنظر . . ولمح تشارلز وماغي الجوادين على الفور، فركضا نحوهما . . لكن عيني روندا كانتا منجذبتين إلى شيلي والرجل الطويل المألوف الشكل الذي كان يتكلم معها . . وهما يقتربان تعرفت على الرجل، وجف اللون من وجهها وكاد قلبها يتوقف في لحظة بؤس . . إنه درو ماتيوز . . آخر شخص في العالم كانت تتوقع أن تراه . . لا شك أنها تحلم! لا يمكن أن يكون هو . . لا يمكن!

لكن ويز عرف الرجل كذلك . . فقال بهدوء: درو هنا.

استدارت إليه، تحس بدوار ذاهل: ماذا؟

كرر . . بهدوء:

ـ درو . . والدي.

* * *

٧ ـ اعتراف تحت المطر

صدمتها لرؤية درو ماتيوز ضاعفها ذهولاً اكتشافها أن ويز الهادىء هو ابن درو . . ابن درو . . وبدا لها هذا أبعد من التصديق. لا بد أن هذا حلم، وكررت إقناع نفسها بهذا . .

لكنها راقبت درو يتحرك برشاقة، ويقف. ومع توقف الجوادين أذعنت للأمر الواقع. هذا ليس حلماً، إنه فعلاً هنا في اسكتلندة . . وأن يكون ويز هو فعلاً ابنه شيء لا يصدق!

أحست بعيني درو تطوفان عليها، أحنت رأسها تستر بشعرها وجهها المحمرّ خجلاً . . سبقها ويز وترجل عن جواده ليعلمها كيف تترجل ويلتقطها وللحظة كادت تقع، أحست بالقوة الفتية في ذراعيه وهو يساعدها لتقف . . . والتقت عيونهما فابتسمت له شاكرة، مرتبكة، عيناها لا تزالان متسعتين من الصدمة، فتركها على مضض ظاهر.

استرقت النظر فرأت درو يراقبها مع ويز وفي عينيه يشتعل غضب بارد، وتوتر عنيف غريب بدأ يتذبذب بينهما.

بدّد ويز التوتر فابتسم للرجل الذي هو والده، وقال بهدوء:

ـ أنا سعيد لقدومك.

لاحظت رباط الحب والصداقة العميقة والاحترام المتبادل بينهما . . أحست بألم وحزن في قلبها لمعرفة كم تحبه يصيبها

بصدمة أخرى.. بدا هذا مستحيلاً، مع ذلك فهو حقيقي، وبشكل يائس..

لم يمض زمن قصير على آخر مرة رأته فيها، ومع ذلك اشتاقت له كثيراً.. وراقبت ويز ولاحظت التشابه بينهما. من الغريب أنها لم تلحظه من قبل.. ربما فعلت بشكل لا واعي وهذا ما جذبها إليه. الثقة بالنفس، الرشاقة الناعمة، العينان الرماديتان، ولكن عيني درو أكثر سخرية، أما اللون فمتطابق تماماً.

فجأة تذكرت شيئاً قاله لها ويز في أول اللقاء: «لك نفس لون بشرة أمي، وهي تشبهك قليلاً» وصدمتها الحرارة مجدداً.. ألهذا السبب يلاحقها درو؟ ألأنها تذكره بزوجته؟ الفكرة ملأتها غضباً وغيرة، أشاحت بوجهها فجأة لا تريد أن تنظر إليه أكثر.. ولاحظت رغم أن الشمس شديدة الحرارة، أن السماء أصبحت مكفهرة.

وتصببت عرقاً والتصق قميصها بجسدها وسال العرق البارد فجأة على جبينها.. شعرت بأن شراً سيقع. ولاحظت كذلك أن شيلي كانت تحدّق بها بعينين قلقتين متوسلتين، فابتسمت لها مطمئنة.. ثم توضحت لها الفكرة.. درو ماتيوز يمتلك الكوخ الذي تقيمان فيه.. ولا شك أن شيلي كانت تعلم هذا طوال الوقت دون أن تقول لها.

أحست كأنها وقعت في فخ، وصحّ إحساسها الداخلي بترقب الشر.. أكانت شيلي تعرف أن درو قادم؟ وابتسمت لنفسها بمرارة.. هذا جنون.. ولسوف يدخلونها المصحّة لو استمرت هكذا!

نظرت إلى النهر تسمع شيلي تضحك مع درو وويز.. وسمعت اسمها يُذكر وعرفت أنها مضطرة للاعتراف بوجود درو عاجلاً أم آجلاً.. هكذا، تماسكت واستدارت ورفعت عينين حائرتين، فقال درو ببرود:

ـ مرحباً روندا.. أتتمتعين بعطلتك؟

أغاظتها سخريته الباردة وأرادت أن تقول: كنت متمتعة إلى حين وصولك.. لكن شيلي وويز كانا موجودين ويسمعانها.

ـ مرحباً سيد ماتيوز.. شكراً لك.. أنا أتمتع كثيراً..

والتفتت إلى ويز مبتسمة له، تعي تماماً أن عيني درو مجمدتان يبرود عليها.

سأل ويز بدهشة: أتعرفان بعضكما؟

قبل أن يرد درو، قالت روندا بسرعة:

ـ قمت بعمل ما لوالدك مؤخراً.

بدت كلماتها غير المكترثة صارفة النظر عن أية أهمية، ودلالة واضحة لكل من يصغي على ما تظنه بدرو ماتيوز.. سمعت أنفاسه الخفيفة وانتظرت أن يدمرها بكلمات باردة.. بإمكانه إحراجها تماماً بكلمة أو اثنتين ينتقيهما في جملة، وهي تعي هذا كما يعيه تماماً.. وأحست بحاجة ماسّة للابتعاد فتوجهت إلى شيلي:

ـ أحس بحرّ شديد، سأدخل الكوخ لفترة.

وتجاهلت درو تماماً، والتفتت إلى ويز:

ـ شكراً مرة أخرى على درس الركوب.. واعذرني..

بدأت تسير عبر الحديقة ولحق بها ويز قائلاً:

ـ سأكون سعيداً بإعطائك دروساً أخرى.

ـ أحب ذلك.

ـ سأراك قريباً إذن.

توقفت تبتسم له.

ـ أجل.. ويز.. أنا آسفة لكنني أحسّ بالتعب.

كان عذراً واهياً وكلاهما عرف هذا، وسألها مباشرة:

ـ لم يعجبك درو.. أليس كذلك؟

ردّت باستخفاف قدر استطاعتها:

- ولماذا تظن هذا؟

هز كتفيه، لم تخدعه للحظة واحدة:

- حسناً.. لا تريدين الكلام عن الموضوع.

- لا.. لا أريد.. سأراك بعد يوم أو يومين.

هز رأسه مستسلماً، ودخلت المنزل.

صممت أن لا تنظر من نافذة غرفتها ورمت نفسها على مقعد تشعل سيكارة.. تمنت لو أنها لم تكن فظة مع ويز فهي لا يمكن أن تلومه على كونه ابن درو.. وراحت تراقب دخان سيجارتها.. لماذا جاء درو إلى هنا؟ ولماذا تفترض أن لمجيئه صلة بها؟ منطقياً، ابنه هنا في اسكتلندة فلماذا لا يأتي؟ كل هذا مصادفات رهيبة.. قد لا تراه مرة أخرى. بعد الأشياء التي قالتها له بالكاد تتوقع منه السعي إليها.

قطعت شيلي أفكارها بدخولها الغرفة.. كان القلق لا يزال بادياً عليها: روندا..

- لماذا لم تصرّحي لي أن درو يملك هذا المكان؟

جلست شيلي:

- كان يجب أن أقول لك، أعرف.

- لماذا لم تفعلي إذن؟ لا بد أنك تعرفين..

صمتت تشعل سيكارة أخرى بيدين متوترتين مرتجفتين.. وقالت شيلي بهدوء: فكرت أنك لن تأتي معنا لو قلت لك.

- هذا على الأرجح.

تقدمت نحو روندا بلهفة:

- ليس هناك خداع.. صدقاً.. أعرف أنه يملك المكان بالطبع لكنني لم أعتقد أن للأمر أهمية.. لم أخبرك لأنني عرفت أنكما لم

تتفقا.. كنت بحاجة للخروج من لندن وأحتاج إلى مساعدتك.. ولقد ذهلت مثلك تماماً لحضوره بعد ظهر اليوم.. آسفة!

نظرت روندا إلى وجه شيلي وأحست بالخجل من نفسها:

- أوه شيلي.. أنا الآسفة.. أعرف أنني أبالغ بردة فعلي دون داع.. إنه يملك المكان فما هي المشكلة؟ أنت محقة، لا أهمية للأمر.. هي غلطتي لأنني بغبائي وقعت في حبه.

شهقت شيلي دهشة: تحبينه؟

- كثيراً.

- لكن.. ليس هناك أية فرصة أن..

قاطعتها بسرعة وصراحة:

- لا يوجد حتى فرصة واحدة.

ردّت شيلي بها:

- الطريقة التي كان ينظر فيها إليك.. لا أستطيع القول إنه غير مكترث.. بأي شكل.

- أؤكد لك أنه ليس الحب.. ربما الكراهية لكن ليس الحب.

وأخبرتها باختصار ما حدث بينهما، وهي تخفي الأسوأ. بعد أن انتهت سألتها شيلي:

- أتريدين العودة إلى لندن؟

فكرت روندا قليلاً لكن كرامتها انتفضت.. لماذا تهرب؟ بكل تأكيد لا تستطيع نصور درو ماتيوز محروماً من النوم لأجلها، في الواقع إنها تقيم في كوخه.. ثم لا يمكنها أن تخذل شيلي:

- لا.. أريد أن أبقى.

- هل أنت واثقة؟

بدا وجه صديقتها وكأنه يترك لها القرار.

- أجل.. لا معنى للهروب.. فأنا لا أستطيع إخراجه من

www.rewity.com/vb ARAYAHEENA

تفكيري على أي حال.. أكنت تعرفين ويز؟

هزت شيلي رأسها:

- أمر لا يصدق.. أليس كذلك؟ لم يكن عندي فكرة أن لدرو ولد.. لكن جهلي بهذا لا يدهشني فلا أعتقد أن الكثير من الناس يعرف.. درو شخص متكتم.. لكن حين رأيتهما معاً تساءلت لماذا لم أدرك الشبه، العينان الرماديتان علامة فارقة.

هزت روندا رأسها موافقة.. فكلما فكرت بأن ويز هو ابن درو كانت تصاب بالدوار والذهول الكامل.. ثم وقفت مع دخول تشارلز وماغي.

- سأصنع بعض الشاي.

كانت تريد أن تشغل تفكيرها قليلاً عن درو وويز ولو لفترة.. وهذا ما تأمله بصدق.

بعد ساعات غابت الشمس وراء الغيوم، بدت السماء رمادية تنذر بالعواصف.. أطلت روندا من نافذة غرفة نومها تراقب السكون المخيف.. حتى الطيور توقفت عن التغريد.. الولدان نائمان منذ أكثر من ساعة وشيلي أوت إلى فراشها.. أحست روندا بالتعب والإرهاق.. وكانت متوترة بشكل رهيب.

أقفلت النافذة وخرجت إلى الحديقة.. كانت الحديقة ساكنة ودافئة، ولم تكن تحتاج إلى سترة.. سارت بين الأشجار قرب النهر فيما كانت السماء تكفهر بشدة تنذر بالعاصفة، وأحست روندا برضى: ستجلو العاصفة الجوّ، وربما تجلو لها دماغها كذلك.. بدأت تسير بسرعة أكبر على ضفة النهر لتزيل توترها.. لم تكن متجهة إلى مكان محدد.

أصبحت السماء الآن قاتمة تقارب الليل، وتعثرت أكثر من مرة في العشب المرتفع.. ولم تلاحظ الصورة السوداء لرجل كان يسد

طريقها على مسافة قريبة إلى الأمام إلى أن أصبحت أمامه تماماً. لم تستطع رؤية وجهه في الظلام، كان الظل يحيط به.. وتملكها ذعر غريب.. لماذا تسير وحدها ليلاً؟ هذا غباء كامل! فكرت إذا كانت قادرة على الركض جيداً. كان قلبها يخفق بسرعة، والذعر في عينيها.. بينما كان هو صامتاً تماماً.

ثم تحرك بسرعة البرق من وسط الظلال مباشرة إلى طريقها.. ناداها بنعومة.. إنه درو ماتيوز.. كان غضبها بقدر ارتياحها لإخافته لها.

شهقت:

- أنت..؟ ما تظن نفسك وأنت تختبىء بين الأشجار وتكاد تسبب لي نوبة قلبية؟

نظر إليها، وكرر قولها ساخراً:

- وما تظنين بنفسك وأنت تسيرين لوحدك في ليلة كهذه؟

صرّت أسنانها بسخط وقالت بشراسة:

- عليك الاهتمام بشؤونك.. ودعني وشأني.

وحاولت الجري لكنه أمسك ذراعها بأصابعه الطويلة ببرودة وشدّة، يمنعها بسهولة.

- عجباً لمَ كل هذا الغضب؟

ارتجفت بسبب لمسة يده رغم غضبها، وكرهت نفسها لهذا التجاوب.. ردّت وهي تكاد تصيح به:

- ربما لأنني لا أحب أن يلاحقني رجل متزوج!

اشتدت أصابعه بشكل مؤلم على ذراعها:

- بالطبع.. نسيت.. الأولاد المراهقون يعجبونك أكثر.

أسخطتها الإهانة.. وبرد فعل غريزي رفعت يدها الأخرى لتضربه، لكنه أمسك معصمها بسرعة ولوى ذراعيها معاً خلفها،

www.rewity.com

وأمسكهما بيد واحدة وشلّ قدرتها. قال لها ساخراً:

ـ لقد حذرتك من هذا قبل الآن.. أنت جميلة جداً وضعيفة جداً، ومع ذلك عنيفة.. طبعك الحاد سيوقعك في المتاعب في يوم من الأيام.

نظرت إليه فاقدة النطق غاضبة حتى أحست كأنها ستنفجر.. وراحت تقاوم الضعف الذي يتسبب به قربه منها.. فجأة توقفت عن المقاومة فهي على أي حال لا جدوى منها. وقالت بهدوء:

ـ أظنه أوقعني..

رسمت ابتسامة خفيفة على فمها.. وأحست بالهستيريا تعتمر في نفسها نظراً للموقف السخيف الذي تجد نفسها فيه.. ومهما كان درو قد توقع منها أن تقول، فلم يكن هذا إطلاقاً.

ـ لو تركتك.. هل تعديني أن لا تهاجميني مرة أخرى؟

ردت بحزم:

ـ لا أستطيع أن أعد بشيء.

رفع حاجبه الأسود:

ـ إذن أعتقد أن عليّ المخاطرة.

وترك ذراعيها، يراقبها تدعك معصميها:

ـ هل آذيتك؟

ـ وهل يقلقك هذا؟

ـ لم يكن في نيتي.. لكن الله أعلم كم بإمكانك استخدام لسانك كالسم.

ردت:

ـ وأنت لست سيئاً في هذا المجال.

زالت لحظة التوتر بينهما وأحست بالارتياح. ضحك درو، أسنانه البيضاء تلمع في الظلام:

ـ ما رأيك بهدنة؟

فكرت بالاقتراح صامتة، ثم أجابت بارتياب:

ـ أعتقد أنه يمكننا التجربة.

هز رأسه ضاحكاً:

ـ يا لهذا الحماس.. أنت حقاً خبيرة في دعم غرور الرجل!

ضحكت روندا.. درو ماتيوز لا يحتاج لمن يدعم غروره!

ـ حسب خبرتي هذا ما يحتاج إليه معظم الرجال.. غرور كاذب هو أسوأ ما يحتاجه صنف الرجال.

سأل بنعومة:

ـ خبرتك؟ هذا ما يبدو لي انه موضوع حديث مثير.

احمر وجهها.

ـ وستكون محظوظاً.

ابتسم ببطء وثقة: أعرف.

شخرت بصوت مرتفع وأدارت وجهها عنه.. إنه حقاً لا يطاق!

استدارت تسأل: هل ستمطر؟

ـ ستمطر كالجحيم.. ومن الأفضل أن تعودي.

هزت رأسها، لا تريد العودة إلى الكوخ.. بل تريد البقاء معه.. مع أنها كانت تدرك كم أن هذا خطير ومتهور، إلا أنها لم تستطع المقاومة:

ـ أريد أن أسير.

ـ سيري معي إذن.

قالت بصوت أعلى من الهمس قليلاً: أجل.

سارا معاً فوق العشب الجاف عبر الأشجار المتهامسة.. أمر لا يصدق أنهما يسيران معاً بسلام، ذراعه حول كتفيها.. فيما السماء تنذر بعاصفة وكأنها ستمزق الدنيا حولهما.. وتذكرت حلمها.

نظر درو إليها فجأة:

ـ على فكرة.. لم تتح لي فرصة شكرك على رسمتك، إنها ذات بعد تصوري منفذة ببراعة.. أنت موهوبة جداً يا صغيرة.. وسيكون شرفاً لي أن أنشرها مع قصتي!

أحست بفيض لذيذ من السعادة لكلماته الإطرائية، لكن بدا وكأنه يذكرها بإيثا بلانكان تقف بباب داره في غلالتها الحريرية الزرقاء.

تمتمت بخشونة:

ـ شكراً لك.. بإمكانك الاحتفاظ بالصورة الأصلية لو شئت هدية رداً على العلبة الفضية.. لست مضطراً بالطبع.. فأنا لا.. أعني أنني لم..

وتملكها الإحراج.. فابتسم لها درو وقال بلطف:

ـ أعرف ما تعنين.. سأحتفظ بها.

تابعا السير رغم أن روندا لم تستطع إخراج إيثا بلانكان من رأسها.. هل هي في اسكتلندة معه؟

سألت: كم ستبقى هنا؟

وتمنت لو لم تسأل وأجاب بلهجة ساخرة:

ـ متلهفة للخلاص مني؟

لم ترد.. ومن الأفضل أن لا تعرف كم سيبقى، ونظر درو إليها بعينين قاسيتين:

ـ أنت منسجمة مع ويز؟

لسبب ما سارعت للدفاع:

ـ ولماذا تريد أن تعرف؟

ـ لا أظن أنني أريد أن أعرف.. لكنني أريد أن أقول أن تدعيه وشأنه.

طار صوابها لتطفله المتعجرف وانهارت الهدنة بينهما مرة أخرى وساد التوتر:

ـ ما المعنى؟

ـ أقصد أن من عادتك تضليل الشبان الصغار.. فلقد وضعت سلسلة حول عنق فلديني، ألا يكفيك هذا حتى تضيفي ويز إلى لائحة معجبيك؟

شهقت روندا غير مصدقة:

ـ كيف تتجرأ على هذا القول؟

ـ أتجرأ لأن ابني تعلق بك ولا أريده أن يتألم.. فهمت؟

ردت بحقد لاذع:

ـ فات الأوان قليلاً.. أليس كذلك؟

ـ وماذا يعني هذا بحق الجحيم؟

توقفا عن السير، ووقفا وجهاً لوجه، يتقاتلان.

ـ إظهارك للقلق.. أظنك قد تأخرت قليلاً، أين كان هذا الاهتمام الأبوي من سنين؟

تطاير الغضب من عينيه ومن وجهه أنذرها بالتوقف، لكنها في تلك اللحظات كانت تكرهه وتريد أن تجرحه كما جرحها.

ـ درو ماتيوز، زير النساء، السيء السمعة تماماً، ألست هكذا؟ زوجتك في فرنسا، ابنك في اسكتلندة، وأنت.. تتسكع طلباً للمتعة في العالم.. إذا كنت تتوقع مني القبول بقوانينك السخيفة، فأمامك فترة تفكير قادمة! ما حدث أنني معجبة بويز رغم أنه ابنك.. إذا أردت رؤيته وأراد رؤيتي، فكلانا فوق سن الوصاية، ولا شيء تستطيع أن تفعله على الإطلاق.

ساد صمت مكهرب للحظات وعرفت روندا أنها تمادت كثيراً.. وكثيراً جداً وندمت على تهورها. شدها بقسوة وأمسكت يده بذقنها

تجبرها على النظر إليه. . وسأل بصوت منخفض خطير.

ـ لا شيء؟ هل أنت واثقة أيتها المتمردة الصغيرة؟

عيناه الرماديتان حارقتان تأسرانها، فتأوهت قليلاً، كان عناقه متوحشاً لا رحمة فيه وهو يضع كل غضبه في ذراعيه. . رائحة عطره الرجولي ملأت أنفها وجعلتها تضعف، لكنها لم تستطع التجاوب مع العقاب الذي يفرضه عليها. . .

لم يتحرك ليتركها. بل استمر يأسرها بنظراته وتلاشى غضبهما. وتمتم واثقاً:

ـ أستطيع أن أجعلك تنسين كل شيء. . كل إنسان ما عداي. وهكذا سأبقيك بعيدة عن ويز.

ـ لا. .

ـ بلى.

ـ درو. . لا تفعل هذا بي، أرجوك. .

ولم يسمع صراخها الصامت: أرجوك لا تؤلمني. . فأنا أحبك!

همست له:

ـ لن أجرح ويز.

ـ أعرف. . أعرف.

ـ إذن، لماذا تفعل هذا؟ أهي الغيرة؟

رد بصوت منخفض قاسٍ، كله سخرية:

ـ أنت لي روندا.

هزت رأسها بحيرة. . لم تعد قادرة على مقاومة حبها له، وشدّها درو إليه أكثر، يده تداعب شعرها. . وتعلقت به، نظرت إلى عينيه الرماديتين، لترى حناناً شديداً هزها حتى أعماق نفسها.

همست:

ـ وأنت لي أيضاً.

دفن وجهه في شعرها الناعم، وتمتم باسمها. . ورفعت روندا رأسها تنظر مجدداً إلى عمق عينيه وبدا أن الزمان توقف جامداً. .

ثم أضاء البرق خطوط وجهه الخشنة، وخطوط وجهها الناعم. . وكان منظرهما مليئاً بالغرابة، يتعانقان بشوق بينما السماء فوقهما تشتعل. . والرعد يقصف ويهدر بشكل يصمّ الآذان، عقب النور الذي يهر الأبصار. . وكان أقوى صوت رعد سمعته روندا في حياتها. . وقفزت بعنف، وخوفها الطفولي من العواصف يتجدد. . وأحس بخوفها فضمها إليه ويداه تتلمسان شعرها ليهدئها.

أخيراً جاء المطر ناعماً ودافئاً. . وبللهما في لحظة وبلل شعرهما وثيابهما. وضحكا وهما يلفان أذرعهما حول بعضهما. . وتمتم مرة أخرى:

ـ لنبقى هنا روندا!

رفعت رأسها إليه:

ـ لكن قد نقتل!

وهما يتحدثان انشق غصن وراءهما بصاعقة هزت الأرض تحت أقدامهما. . فابتسمت روندا مكملة:

ـ ونحن صغيران جداً على الموت!

رد جاداً:

ـ لا أظن أن هذا يهمني، لو بقيت معي.

ضحكت مقطوعة الأنفاس:

ـ هذا ألطف ما قيل لي.

أمسك يدها، وابتعدا عن الأشجار ليعودا إلى المنزل. . وكانت روندا مبتلّة حتى العظام. . رفعت وجهها إلى المطر المنهمر وابتسمت، أحست أنها أسعد حالاً مما كانت عليه منذ أسابيع. . لم يتكلما فالكلام مستحيل، العاصفة كانت صاخبة، لكن كان الرضا

يظللهما، وسرعان ما وصلا إلى الكوخ.

سألته روندا:

ـ أترغب في بعض القهوة؟ يمكننا أن نجفف أنفسنا قرب النار.

هز رأسه موافقاً، فدخلت قبله.. كان النور مضاء، لكن غرفة الجلوس فارغة، وأحضرت روندا منشفتين كبيرتين أعطت إحداهما لدرو، وأخذت تجفف شعرها.. بعد ذلك دخلت المطبخ وأشعلت سخانة الماء الكهربائية، ثم عادت إلى غرفة الجلوس.. ابتسم لها درو، فردت الابتسام وأحست بنفسها قد علقت في شباك سحره الرجولي.

كانت تريد أن تتكلم عندما قاطعها صوت شيلي من غرفة النوم:

ـ روندا.. أهذا أنت؟

ـ أجل.. كيف تشعرين؟

ـ سيئة.. هناك رسالة هاتفية لك. اتصل نينو وقال إنه مشتاق إليك كثيراً، وإذا أمكن اتصلي به.. سيكلمك عن الشقة كما أعتقد.. أوه.. يفكر بالمجيء إلى هنا لتمضية عطلة الأسبوع..

صاحت روندا تقاطعها قبل أن تقول شيئاً آخر:

ـ شكراً.. سأتصل به. أتريدين بعض القهوة؟.. أنا أحضّرها الآن.

ـ لا.. سأراك صباحاً.

أحست روندا بالدم ينصب على خديها.. ورأت بطرف عينها درو يتصلب ويتغير وجهه. وسيطر الغضب على الغرفة.. إنه لا شك يظن الأسوأ بينها وبين نينو.. نينو وويز وهي منذ أقل من نصف ساعة كانت تتجاوب مع عناقه.. فتحت فمها لتشرح له لكنه لم يترك لها فرصة. فقد تحرك إلى الباب بسرعة ثائراً قائلاً:

ـ انسي أمر القهوة.

نظرت إليه بألم، تحس بغضب مفاجيء لاستنتاجاته الخاطئة:

ـ لا أعرف ما تظن..

كرر بخشونة: انسي..

وخرج نحو ظلمة العاصفة المولولة، يصفق الباب بعنف خلفه.

لقد انسحب من حياتها مجدداً.

* * *

٨ ـ ابقَ معي!

حدقت روندا بالباب الموصد وجسدها كله يتوجع من الإحباط والظلم القاسي.. كانت تعرف ما يعتقد طبعاً.. إنه يعتقد أن لها أخلاق قطط الأزقة، وهو غاضب لا شك من نفسه لأنه أظهر لها مشاعره نحوها.. من المحتمل التسليم بعدم أهمية علاقة درو بإيثا بلانكان، لكنه لا يزال يعتبر نفسه حراً بما يكفي لأن يغازل روندا.. اللعنة عليه! لماذا أحبته؟

حين استيقظت متأخرة في الصباح التالي كان المطر لا زال ينهمر بشدة.. كانت ذكرى ما حصل بينها وبين درو معلقة في ذاكرتها، تعذبها وتثير اضطرابها.

أخذت قهوتها، واتصلت بنينو. رن جرس الهاتف كثيراً وكانت على وشك تعليق السماعة حين رد عليها ناعساً. كان مسروراً جداً لسماع صوتها، أحست بذلك في صوته:

ـ كيف حال الطقس في تلك البراري؟

تنهدت: ممطر.

ـ وهو مشمس هنا.. أردت أن أطلب منك خدمة.

ـ أطلب ما شئت.

ـ لدي أصدقاء قادمين من إيطاليا غداً، ولن أستطيع استضافتهم جميعاً في شقتي، وكنت أتساءل..

ـ ما إذا كنت تستطيع استخدام غرفة النوم الإضافية عندي؟ أنا مدينة لك، فافعل ما شئت.

ـ حقاً؟

ـ قلت لك افعل ما شئت.

ـ لن يمكثوا لأكثر من نهاية الأسبوع.

ـ عظيم.. لديك المفتاح، لا تقلق.. ذكرت شيلي شيئاً عن مجيئك في عطلة الأسبوع.

رد بصوت كله أمل:

ـ أجل.. إذا كان هذا يناسبك.

ـ سأكون مسرورة لرؤيتك.

أقفلت الخط وتقدمت إلى النافذة.. يا لهذا المطر الشديد! يبدو وكأنه لن ينتهي.. كل شيء رمادي يماثل مزاجها تماماً.

مرة أخرى غمرها ذلك القلق الغريب الفارغ، فارتدت معطفها وانتعلت حذاءها واعتمرت قبعتها، وخرجت من الباب لتصطدم مع ويز وهي تقفل.. قالت وهي حزينة: مرحباً.

ـ مرحباً.. أتنوين المسير؟

كان شعره مبللاً ورأسه مكشوفاً.

ـ أجل.. أحس بالتوتر الشديد، ولا أستطيع البقاء في الداخل.

ـ أتمانعين في أن أسير معك؟

وهما يسيران عبر الحديقة قالت:

ـ أتعرف أين هي أقرب المحلات؟

هز رأسه:

ـ لكنها بعيدة جداً. يمكنني أن آخذك بالسيارة.

ـ ألديك سيارة؟

ـ درو يمتلك لاندروفر أستخدمه.

www.rewity.com

عند ذكر اسم درو، أحست بالدوار:

ـ أنا.. لا أريد التسبب لك بالمتاعب.

ـ لا متاعب. أنا أرغب في هذا، ويمكننا أن نتناول الغداء في مقهى القرية.

ـ ويز..

ـ قولي نعم..

ولم تكن تملك القدرة على رفضه اليوم:

ـ حسن جداً.. نعم.

ابتسم وقادها عبر الأشجار، فسألت محتارة:

ـ أين هو اللاندروفر؟

ـ في المنزل.

توقفت دون حراك، لا تريد رؤية درو.. لا تستطيع مواجهته. فاستدار ويز إليها:

ـ ما الأمر؟

صمتت، ماذا يمكنها أن تقول؟ أنا أحب والدك وهو يحتقرني، ولا أستطيع تحمل قساوته.. لذا أنا آسفة لا أستطيع المخاطرة.. إنها تتصور ردة فعل ويز لهذا.

تمتمت، فاقدة الكلمات:

ـ لا شيء.. أنا.. حسناً.. الأمر فقط..

نظر إليها بحدة وسأل: أهو درو؟

احمرت وجنتاها، وأشاحت بوجهها: لا.

ـ ماذا إذن؟

لم يعد عندها ما تقوله للخروج من المأزق، ولو صادفت درو ستضطر للتعامل مع الموقف بأفضل ما تستطيع.

ـ أنا آسفة.. تفكيري ضبابي قليلاً اليوم.. ظننت نفسي نسيت

شيئاً.

سارا ما يقارب العشرين دقيقة، حتى ظهر أمامهما منزل من خلال الأشجار، منزل صيفي كبير تبلغ مساحته ضعف مساحة الكوخ الذي تشغله مع شيلي.. يعرّش اللبلاب على جدرانه، والسقف بالرغم من صلاحيته، كان متشققاً يعطيه سحراً عتيقاً جميلاً.. كان هناك سيارتان متوقفتان في الخارج، إحداهما سيارة درو السوداء الرياضية، والأخرى لاندروفر جديد المظهر.. وأحست روندا بقلبها يخفق بسرعة، وتوسلت أن لا يكون درو في المنزل، ومع ذلك كانت خائفة ومتلهفة في الوقت نفسه.

سألها ويز:

ـ أتشربين شيئاً قبل أن نذهب؟

ذعرت لسؤاله.. أشاحت بوجهها بحذر علّها تبدو هادئة.

ـ لا.. شكراً لك. لقد تناولت الفطور منذ دقائق.

ـ حسن جداً.. إصعدي.

فتح لها باب اللاندروفر فصعدت، تنظر خائفة إلى باب المنزل، تتوقع ظهور درو في أية لحظة. لكنه لم يظهر، انطلقا فوق الطريق الموصلة إلى الطريق العام.. وتنفست روندا الصعداء.

كما قال ويز كانت أقرب قرية على مسافة بعيدة جداً، كانت صغيرة جداً. ساحة صغيرة، صفوف من الأكواخ، نصف دزينة محلات، ونزل عام صغير.. إنها قرية هادئة جداً، وأحست روندا بنفسها مراقبة من خلف الستائر الحريرية وهي تسير مع ويز. اشترت الخبز، وبعض الحليب الطازج، قليلاً من الحلوى لتشارلز ومارغو، زجاجة شامبو، محارم ورقية، دون اهتمام، فتفكيرها وجسدها كانا يعملان آلياً.. البائعات في المحلات ومعظمهن متوسطات العمر كن يحدقن بهما بفضول، مع أنهن كن خجولات ودودات ومؤدبات..

وخرجت روندا إلى المطر مجدداً وهي تبتسم.. قالت ضاحكة:

ـ أحس كأنني أجنبية.

أخذ ويز الكيس البلاستيكي منها.. وقال ممازحاً يمسح قطرة مطر عن أنفها:

ـ أنت فعلاً أجنبية.

عادا إلى اللاندروفر ووضعا المشتريات داخله. كانت الساعة تقارب الواحدة وقررا أن الوقت حان للغداء.. وبما أنها لم تتناول الفطور، وجدت روندا نفسها جائعة وهما يدخلان المقهى القديم.. جلسا قرب نار الحطب، يشربان شراباً ساخناً بانتظار الطعام.. تلفتت روندا حولها باهتمام، أعجبها المقهى، بسقفه المنخفض ودعائمه الخشبية وجدرانه الحجرية.. كان مكاناً جميلاً..

سألها ويز فجأة:

ـ منذ متى تعرفين درو؟

ـ ليس من وقت طويل.

كانت تعي أن هذا الحديث قد يقود إلى منعطف خطر.. لكن ويز تابع بإصرار:

ـ أسابيع، أشهر، سنوات؟

ـ أسابيع.. وكما قلت ليس وقتاً طويلاً أبداً.

وأملت أن يعزو احمرار وجهها إلى حرارة النار.

ـ لماذا لا يعجبك؟

ـ يعجبني.. لكن أحياناً لا نتفق، هذا كل شيء.

هز ويز رأسه:

ـ إنه رجل غير عادي.

أحست روندا بالتأثر للحب والفخر والاحترام في عينيه.

ـ أجل..

وصل طلبهما مع قصعتين من الحساء، وبدءا الطعام.. وقال ويز:

ـ لقد بدأت أعرفه حقاً في آخر خمس سنوات تقريباً. لقد انفصل والداي وأنا صغير جداً على إدراك لماذا كانت أمي تكرهه وتكرهني. ولماذا كانت تريد أن تؤلبني ضده.

صمتت روندا لا تعرف ما تقول.. أحست بالصدمة، هل حاولت زوجته حقاً تأليب ابنه عليه؟ وبدا لها هذا لا يصدق، مرعباً، لكن لماذا يكذب ويز؟

ـ أتعيش مع أمك؟

ـ كنت.. لكنني تركتها ما إن أصبحت كبيراً بما يكفي.. أريد أن أبقى مع درو.

نظرت روندا إلى حسائها لا تريد أن تسأله المزيد.. إنه موضوع مؤلم وليس لها الحق أن تتطفل، هكذا تعمدت أن يكون حديثها خفيفاً غير شخصي وهما يتناولان الطعام.. ثم شربا القهوة.

وأشعلت روندا سيكارة تتنهد بارتياح:

ـ كان هذا رائعاً.. شكراً لدعوتك لي.

رد بخبث يذكرها بترددها الطويل: شكراً لقبولك.

التمعت عيناها البنفسجيتان بالضحك:

ـ وأنت ملحاح مقنع جداً.

ـ أنا سعيد لأن أسمع أن واحداً منا يمكن أن يكون مقنعاً.

الصوت المنخفض البارد من خلفها جعلها تجفل، لم تلتفت لكن جسمها تصلب.. كان ويز يضحك ويجذب كرسياً لدرو، وراقبته خلسة بطرف عينها وهو يجلس إلى جانبها.

وقال درو ممازحاً بلطف:

ـ أنا واثق أنني لو طلبت من روندا أن تتنفس، فستفضل

الاختناق على أن تفعل ما أطلبه.

ابتسمت روندا رغماً عنها، وتمتمت:

ـ يا له من إطراء.

وقفت معتذرة واتجهت بسرعة إلى غرفة السيدات. تحتاج إلى بضع لحظات لوحدها تستعيد قواها وتماسكها. ما الذي يفعله درو هنا؟ نظرت إلى نفسها في المرآة، إنها تبدو فظيعة، عيناها ضخمتان وبقع سوداء تحتهما ووجهها شاحب.. لا شك أنه يراقب ويز، يتأكد من أن روندا لا تشجعه على شيء.

عادت إلى الطاولة لتجد درو يدخن سيكارة ويتحدث إلى ويز.. إنهما مقربان جداً.. إنهما صديقان طيبان أكثر منهما أب وولده.. وأحست بغصة ألم حادة في صدرها.. إنها لا ترغب أن تكون متطفلة بل تريد أن تكون جزءاً من حياتهما.. وأكثر من ذلك هي تريد درو.. لكنه حلم مستحيل.

وقف الرجلان احتراماً وهي تجلس، أخلاق حسنة جعلتها تبتسم.. حول مزيد من القهوة تكلما بطائفة متفرقة من المواضيع.. كان درو دافئاً ظريفاً، مع ذلك لاحظت روندا كيف كان يراقبها ويراقب ويز، ويقيّم الموقف بينهما بذكاء ومكر، ووجدت نفسها تقع تحت سيطرة سحره وتسترخي، كان ويز يمثل نوعاً من الحاجز بينهما، إذ لولاه لأمسك كل منهما بخناق الآخر في أقل من خمس دقائق.

مرت ساعة بهدوء كامل حتى أن روندا لم تلاحظ مرورها، ولم تنتبه إلى الوقت إلا بعد أن لمحت عينها ساعة الجدار. شيلي سوف تقلق عليها..

شرحت آسفة أسباب اضطرارها للمغادرة. ووقف الرجلان بسرعة يستعدان للخروج معها بالرغم من احتجاجاتها. ثم كان

الجميع في اللاندروفر وروندا محشورة بينهما.. وهم يعودون إلى الكوخ، ارتمت على درو أكثر من مرة في الطرقات الضيقة الوعرة. كانت مشتاقة إليه، لكنها كانت تتجنب عينيه لا تجرؤ حقاً أن تنظر إليهما.

أحست أن هناك شيئاً غير طبيعي في الكوخ.. كان عندها دائماً إحساس داخلي ينبؤها بالتوتر وعدم الارتياح.. غرفة الجلوس مهجورة، وكذلك المطبخ، لكنها سمعت حركة في الأعلى وهي تخلع حذائها وتعلق معطفها.. ووجدت شيلي في غرفة النوم، شاحبة الوجه باكية، ترمي الثياب دون حرص في الحقيبة.

ـ شيلي، ماذا حدث؟ ما الأمر؟

قالت شيلي بصوت منخفض حاد:

ـ إنه براد.. وصلتني مكالمة هاتفية.

ولم تستدر بل تابعت توضيب الثياب، وعبست روندا ودخلت الغرفة:

ـ ما بال براد؟

استدارت شيلي، كومة ثياب مطوية دون ترتيب تقع من يدها، وقالت بصوت أجش والدموع تملأ عينيها:

ـ حادث سيارة.. يجب أن أذهب إليه!

اتسعت عينا روندا صدمة.. أمسكت شيلي بلطف وأجلستها على السرير، لتقول بهدوء:

ـ أخبريني بالأمر.

جففت شيلي عينيها:

ـ اتصلت بي شانل سكرتيرة براد منذ نصف ساعة.. إنه في المستشفى، حادث سيارة على الطريق العام ليلة أمس، ويبدو أن إصابته خطيرة.. يجب أن أذهب إليه!

تمتمت روندا:

ـ أوه.. لا..! كم أن هذا مريع! هل أرعى لك الولدين؟

هزت شيلي رأسها:

ـ سآخذهما معي.. سيرغبان في رؤيته.. لو أنه.. إذا.. يجب أن نكون قربه.

ـ طبعاً.. هل ستسافرين على الفور؟ هل أقود السيارة بك إلى لندن؟

ـ لا، إبقي هنا.. أريد الذهاب لوحدي.

ـ هل أنت واثقة؟

ـ أجل.. أرجوك ابقي روندا.. لا أريد أن أفسد عطلتك.. أرجوك!

فتحت روندا فمها لتحتج ثم صمتت. لا تريد أن تكدر شيلي بجدل غير هام.. ثم إنها كانت مسرورة لأن شيلي تريدها أن تبقى.. فلو عادت اليوم إلى لندن لوجدت شقتها مليئة بالغرباء، وهي في هذه اللحظات تحتاج إلى الهدوء.. حضّرت روندا بعض السندويشات للرحلة، لا شك أن صديقتها لن تفكر في التوقف خلال الطريق.. قرب السيارة كررت روندا:

ـ هل أنت واثقة أنك لا تريدينني أن آتي معك؟ أستطيع أن أعتني بالولدين وأنت في المستشفى.. يمكنني أن أساعدك.

ـ لا.. أريدك أن تبقي، ستقيم جميعاً عند أمي، لا تقلقي، عودي الآن إلى الداخل قبل أن تبتلّي.

توسلت روندا:

ـ ألن تتصلي بي الليلة أو غداً؟

ـ أعدك.

تعانقتا ثم قفزت شيلي إلى السيارة وانطلقت.

عادت روندا ببطء إلى الداخل، تحس بالقلق والوحدة.. تقول لنفسها إنها كان من الواجب عليها أن تصر، لا أن تترك شيلي لوحدها.. لكن شيلي عنيدة، وهذه إرادتها، ولن تتمكن روندا من أن تغيّر لها قرارها.

كان المطر مستمراً بالهطول مع أن الريح خمدت قليلاً. بدأ الظلام بالهبوط.. أضاءت النور وأشعلت النار، مشغولة الفكر حول شيلي.. استقرت لتوها مع فنجان قهوة طازجة وكتاب، حين سمعت قرعاً قوياً على الباب. تنهدت وذهبت لتفتح لكنها تذكرت كم هي وحيدة ومعزولة، فنادت بصوت مرتجف:

ـ من الطارق؟

ـ درو.. دعيني أدخل.

بأصابع مرتجفة فتحت الباب، قلبها يشتد خفقاً لرؤيته.. وأحست بغصة في حلقها تمنعها من الكلام.. أقفلت الباب خلفه وأشارت إلى الداخل:

ـ أدخل أرجوك.

التفت إليها، فأخفضت عينيها وأكملت:

ـ أجلس.. أترغب في القهوة؟ لقد صنعتها لتوي.

هز رأسه: أجل.. شكراً لك.

قالت بسرعة:

ـ شيلي ليست هنا. لقد عادت مع الولدين إلى لندن.

قال بصوت منخفض هادىء:

ـ أعرف.. لقد اتصلت بي.

ـ أوه.

بدهشة، شغلت نفسها بإحضار فنجان من المطبخ، ثم صبت القهوة وهو يراقب حركاتها:

ـ هل ستكونين على ما يرام لوحدك؟

ـ أحب البقاء لوحدي.

ابتسم:

ـ حسناً إذن.. لم آتي إلى هنا لنتشاجر.

ـ لماذا أتيت؟

ـ لأتأكد من أنك على ما يرام.. لأعرض المساعدة.

أحست روندا أنها سخيفة، ورفعت يدها برشاقة:

ـ أنا آسفة.. كنت فظة جداً. لكنني قلقة البال على شيلي.. أردت الذهاب معها، لكنها أرادت الذهاب لوحدها ولست أدري ما إذا كنت فعلت ما هو صواب أم لا.

ـ ليس بإمكانك سوى عرض المساعدة.. لا يمكنك إجبار الناس على قبولها.

ـ أجل.. أعرف.

لماذا لا تستطيع أن تتكلم معه بشكل طبيعي؟ لماذا هذا التوتر الدائم بينهما؟ تتمنّى أن تقول له: لا أريد البقاء لوحدي، ابق معي.

ـ ماذا؟

رفع رأسه بحدة، عيناه ضيقتان على وجهها فأدركت بخجل غامر أنها كانت تفكر بصوت مرتفع، وطلبت منه فعلاً أن لا يتركها.. أرادت أن تهرب، أن تختبىء، وعلت الحمرة وجهها وللحظة أحست بالطيش وعدم الاهتمام.

تحرك إلى جانبها بالسرعة البطيئة، يجذبها لتقف، وتمتم بخشونة، يرفض طلبها بلطف:

ـ أنا مضطر.

قالت ببراءة: صحيح؟

ـ تعرفين هذا جيداً.

أشعل سيكارة وسحب منها أنفاساً عميقة.. ثم قال باسترخاء:

ـ ويز كان يتحدث عنك طوال بعد الظهر.

قطبت روندا وقد ذهب إشراق وجهها:

ـ هذه ليست غلطتي!

سأل بغضب:

ـ إذن لماذا وافقت على تناول الغداء معه؟

ـ كنت متعبة، ولم أعرف كيف أرفض، ولم أرغب في أن أجرحه.. إضافة إلى هذا.. لا أرى حقاً أن هذا من شأنك.

استدار عنها، كتفاه متصلبان:

ـ لا.. أنت على حق. وأنا آسف.

ـ لا بأس.. ليس الأمر مهماً.. درو، أنا لم أشجعه يوماً.. إنه يعجبني.. لكن.. أوه أنت تعرف ما أعني.

نظر إليها، عيناه لطيفتان:

ـ أجل.. أعرف ما تعنين.. والله يعلم أنك غير مسؤولة عن مشاعره.. لكنني لا أريده أن يتبع خطاي ويرتكب نفس الغلطة اللعينة التي ارتكبتها.

كان في صوته خشونة قاسية أخافتها تقريباً:

ـ لست أفهم.. أية غلطة؟

هز درو رأسه، ربما ندم على كلماته.

ـ انسي الأمر يا صغيرة، ليس مهماً.

هناك الكثير مما لا تفهمه، أشياء لم يقلها وتثير سوء التفاهم بينهما.. وهذا ما يدفعها إلى الجنون!

قالت مهددة بشراسة:

ـ في يوم من الأيام درو مانيوز.. انتظر فقط!

واسودت عيناها البنفسجيتان غضباً.

www.liilas.com

ضحك: سأنتظر روندا.. بإمكانك المراهنة.

نظرت إلى عينيه، ترى اللهيب يقفز في عمقهما الرمادي البارد، أرادت بيأس أن تلف ذراعيها حوله وتكشف له عن حبّها.. لكن لو فعلت هذا فلن تستفيد شيئاً.. لأنه لا يحبها.

إنه لا يريد ولا يحتاج إلى الحب.. كل ما يحتاج إليه هو العلاقات المختصرة، وصديقة مثل إيڤا بلانكان.. وتعرف أن علاقة قصيرة معه، هو كل ما يستطيع أن يقدم. وهذا ما سيدمرها، ويخرب لها حياتها.. وأدركت أن درو يعرف هذا أيضاً..

بصمت، راقبها درو، كأنه قادر على قراءة أفكارها.. كان وجهها الصغير معبراً جداً.. أخذ قلماً من جيبه وكتب رقماً على دفتر صغير قرب الهاتف.

ـ إذا احتجت إلى أي مساعدة اتصلي بي.. أريدك أن تعديني بهذا.

رددت بيأس يحرقها: المساعدة؟

إنها تحتاج إلى أكثر من هذا بكثير.

ـ قد تحدث فيضانات.. لو استمر المطر هكذا، سيتدفق النهر فوق ضفتيه.. إنه مرتفع جداً الآن. ولا أريدك أن تفزعي وأنت وحدك.

تمتمت:

ـ كان يجب أن أعود إلى لندن.

ـ أجل.. ربما كان يجب أن تفعلي هذا.. الله وحده يعلم لماذا جئت إلى هنا أصلاً في مثل هذا الوقت من السنة.. لقد حذرت شيلي مرات ومرات من الفيضان.

بدا لها بارداً وكأنما سيكون سعيداً أن يراها ترحل.. فقالت:

ـ كان يجب أن أعود..

لكنها لم ترغب أن تعطيه الانطباع بأنها بقيت هنا بسببه.. فلربما كان يظن هذا بالضبط.. وفجأة أدركت أن هذا صحيح.. لقد بقيت فعلاً بسببه، لأنه هنا، ولأنها بلهاء سخيفة.

ـ كنت سأذهب.. لكن..

ـ لكن ماذا؟

ـ شقتي مليئة بالناس.. أصدقاء لنينو من إيطاليا.

ضغط درو شفتيه:

ـ هل سيأتي إلى هنا لرؤيتك؟

هزت رأسها، تقارب الدموع دون سبب ظاهر.

ـ نهاية الأسبوع القادم ربما.. هذا ما أرجوه، فقد اشتقت إليه.

لم تلحظ لهيب الغضب الذي اشتعل في عيني درو. وضع يديه على كتفيها.

ـ سيأتي.

ابتسمت له ابتسامة بلهاء:

ـ أعرف.. ومن الأفضل أن تذهب الآن.

هز رأسه بصمت وتحرك ببطء نحو الباب. نظر إليها بعينين عميقتين، ثم انطلق إلى الخارج. وأحست بهزيمة جرّاء اهتمامه بها ولطفه.

أخذت حماماً، كانت مرهقة مع ذلك فجسدها كان نشيطاً بشكل غريب.. أطفأت النور واندست في الفراش.. بالرغم من المطر المستمر، كان هناك إطلالات خفيفة للقمر الذي يرمي بنوره عبر الستائر على النوافذ، ينير لها الغرفة.. وينير العلبة الفضية التي كانت تلمع في الظلام، غامضة، وكأنها رمز مجهول. كان يجب أن يعطيها لها بحب.

خرجت من السرير مجدداً وحملت العلبة من الأدراج، لتأتي بها

إلى السرير.. إنها جزء منه، الجزء الوحيد الذي تملكه.. ولفت ذراعيها حولها وهي تسير عبر الغرفة.

فيما بعد لم تعرف أبداً ما الذي دفعها مرة أخرى إلى النافذة.. ربما الحاسة السادسة.. في الخارج كان المطر صاخباً، والريح تتصاعد مجدداً.. وعرفت أن عليها إقفال النافذة.. لكنها لا تريد، ولا تهتم.. فقد أحست بالدفء والأمان والوحدة الرهيبة.

فجأة خفق قلبها بسرعة، فقد لمحت عيناها المعتادتان الآن على الظلام، طيفاً طويل القامة قرب النهر.. إنه درو.. كان يقف جامداً تماماً، غير مهتم للخطر، ويتطلع في الظلام. وقفت روندا تراقبه لدقائق طويلة، تتساءل لماذا يقف هناك، بينما إحساس قلق غامض مخيف منذر بالشر، يتصاعد داخلها.

ثم تصرفت باندفاع طائش، وضعت العلبة من يدها وركضت إلى الأسفل، ارتدت المعطف وانتعلت الحذاء الضخم، فتحت الباب الأمامي.. لم تكن تعرف لماذا، لكنها أحست أن عليها الذهاب إليه.

استدار ببطء وهو يسمع صوت اقترابها، يراقبها بعينين سوداوين وهي تصل إلى جانبه وتنظر إلى وجهه. سألته بهدوء:

ـ ما الأمر؟

رد بصوت خشن:

ـ عودي إلى المنزل.

تجاهلت قوله:

ـ لماذا تقف هنا تحت المطر؟

قال بغضب: وما الفارق؟

أجفلت:

ـ ظننت شيئاً قد حدث.. وأنه يمكنني المساعدة..

تنهد وتلمس وجهها بلطف:

ـ أنا آسف.. كنت أفكر بويز. أتعرفين أن صوفيا ماتت؟

وكانت قنبلة.. آخر شيء توقعت أن تسمعه.

وردت في همس فارغ، قلبها يكاد يتوقف:

ـ ماتت؟

ـ أجل.. ماتت.. غرقت.. وويز استقبل الخبر بسوء.. لا يمكنه حتى الحديث عنها. إنه متألم ويحس نحوها بعقدة الذنب لتركه لها.. وهذا ما يمزقه.

نظرت إليه، وتفكيرها مشوش، مزدحم بأفكار محتارة.. وهمست:

ـ لم أكن أعرف.. وأنا آسفة.

هز كتفيه:

ـ لقد حصل هذا مؤخراً. ولم يكن ويز يعرف، وهذا ما جاء بي إلى هنا.

استمر في نظرته عبر النهر، ووجهه حازم:

ـ ما إن سمعت الخبر حتى طرت إلى فرنسا.. لكن والد صوفيا لم يرغب في أن أكون أنا أو ويز في الجنازة، أتصدقين هذا؟.. حفيده!

لم تفهم روندا، لكن قلبها تألم له ولويز. قالت ببؤس:

ـ لا شك أنك حزين جداً.

استدار إليها باستغراب وكأنه لم يفهم:

ـ حزين؟ لا.. لست حزيناً.. ربما أحس بالشفقة ليس أكثر.. فأنا لم أكن أحبها، وستة عشر سنة زمن طويل.. كانت غريبة تماماً عني.. قلقي الوحيد هو على ويز.

حزنت روندا من أجله وارتبكت كثيراً، كانت قلقة جداً عليه مع

ذلك أحست بالارتياح لأن هذا لم يؤلمه.. وتمنت أن تساعده.. وتذكرت ما قالته له في ساعة غضب منذ أيام.. وأحست برغبة في البكاء.. وفكرت بأشياء قالها ويز عن أمه ساعة الغداء، والألم واليأس اللذان لمحتهما فيه، وتوضح كل شيء فجأة.. إنه كالكابوس! زوجته ماتت ولا يشعر سوى بالشفقة.. ولن تفهم هذا أبداً.

كان درو ينظر إليها مكرراً:

ـ عودي إلى المنزل.

لم يكن بحاجة لعونها وأحست أنه يريدها أن تبتعد عنه فاستدارت راكضة إلى المنزل الموحش.. حتى إنها لم تلاحظ أنها تبكي إلى أن بدأت تجهش مرتجفة.. وصاح قلبها له.. درو.. وفي يأسها لم تصدق أنه لم يسمع!

* * *

٩ ـ بعدنا الطوفان

ثلاثة أيام من المطر المتواصل، انفجر النهر بعدها من فوق ضفتيه.. ووصل طوفانه إلى الكوخ. صباح اليوم الذي حدث فيه هذا، استيقظت روندا متأخرة بعد ليلة قلقة أخرى.

لم تكن قد شاهدت درو منذ الليلة التي جاء يعرض فيها العون وكشف لها عن الأخبار السيئة حول زوجته.. لكنها فكرت به باستمرار، مأخوذة به بأفكارها.

كما لم يكن هناك أثر لويز، وقلقت عليه، تتساءل كيف حاله.. ربما تمكن درو في النهاية من التخفيف عنه.. وأحست بالألم والمرارة بعد أن عرفت أنها كانت ظالمة.

عدا عن عذاب قلبها الفظيع كانت سعيدة لوحدها. لا شك أنها تتجه إلى الجنون، هذا ما فكرت به متعبة غير مكترثة.. لكنها أحبت العيش في هذا الكوخ، أحبت قدمه، هواءه النظيف، وصغره.

حين اتصلت بها شيلي بعد يومين من سفرها بدت أكثر سعادة مما توقعت روندا ولم تذكر لها أمر وفاة صوفيا، فقد كانت تحس بصدمة جوفاء في داخلها كلما فكرت بالأمر. ركزت تفكيرها على أخبار شيلي.. براد كان لا يزال في المستشفى، وخضع لجراحة بسبب إصابات داخلية، لكنه يتحسن إلى الأفضل ببطء، ويبدو كأن الطلاق قد ولّى، وعاد الزواج ثانية.. صحيح لا شيء نهائي بعد،

لكن شيلي كانت مستبشرة جداً، وسعيدة، ووقعت مجدداً في الحب كما هو واضح.. امتلأت عينا روندا بدموع الفرح لأن شيلي تستحق السعادة، ويبدو أن الأمور ستصطلح بالنسبة لها مجدداً.. سألت شيلي عن درو لكن روندا كانت غامضة في ردها، وأمضت عشر دقائق على الأقل تؤكد لصديقتها أنها على ما يرام وتستمتع بوقتها. بطريقة ما، كان هذا صحيحاً.. فهي تتمتع أكثر مما كان يمكن أن تتمتع لو واجهت نفس المشاكل في لندن.

ذلك اليوم أخذت حماماً دافئاً قبل الفطور، ثم قررت أن تخرج لمسيرة طويلة.. ضحكت في سرها وهي تضع حذاءها السميك في قدميها، تذكر كم سخرت من توقع ويز للفيضانات.. بدا لها ذلك وكأنه منذ سنوات، فيما لم يمض عليه أكثر من أسبوع، وكان يوماً حاراً مشمساً.. أمر لا يصدق!

سارت طوال اليوم تتمتع بوحدتها، عادة تملكتها.. وكان ذلك يساعدها على النوم ليلاً.. وجدت نفسها في القرية في منتصف النهار، فتناولت الغداء في المقهى حيث كانت مع ويز.. وتذكرها صاحب المقهى وزوجته، فتسامرت معهما وهي تتناول وجبتها.

كان الظلام قد حلّ عندما عادت إلى الكوخ، كانت مبللة وقد تجاوز الماء كاحليها ووصل إلى ركبتيها.. حين أدركت أن الكوخ يغرق بالماء تملكها الذعر، ولم يكن لديها فكرة ماذا تفعل.. كانت الكهرباء مقطوعة وهذا ما زاد من خوفها، لكنها تذكرت أن هناك مشعلاً في المطبخ، فخاضت في المياه المرتفعة لتأتي به.

لقد ترك لها درو رقم هاتفه، يمكن أن تتصل به وسيعرف ماذا يفعل.. لكنها ذعرت وهي تلتقط السماعة.. الخط مقطوع كما الكهرباء.. وتصاعد خوفها.. إنها معزولة بالكامل، بعيدة أميالاً عن أي مكان، دون دفء، أو إنارة، أو اتصال. والكوخ الذي كان يبدو

عادة مؤنساً، بدا فجأة مخيفاً كالسجن.. كان يجب أن تعود إلى لندن حين سنحت لها الفرصة.. لقد حذروها من الفيضان لكنها ظنت نفسها قادرة على التعامل معه.. لكنها الآن تعرف.. لو أن الكوخ لم يكن معزولاً هكذا وبعيداً جداً عن أقرب قرية، لما كانت خائفة هكذا.

كم سترتفع المياه؟ قد تموت هنا ولن يعرف بأمرها أحد لأشهر.. أدركت ما أصابها من رعب وحاولت تهدئة نفسها.. عيناها كانتا تحدقان في الظلام تلمحان خيالات لم تستطع التعرف إليها، فأخذت توجه القنديل بسرعة وخوف إلى الزوايا.. وارتجفت بعنف من البرد.. ليس هناك تدفئة، ولا تستطيع أن تصنع لنفسها شراباً ساخناً لتدفىء جوفها.. كانت خائفة من المياه الموحلة، صعدت إلى الطابق الأعلى بصعوبة.. كل ما حولها بارد، وأسود قاتم، الصوت الوحيد الذي تسمعه هو صوت المطر، وقعقعة البناء القديم.. أصوات مخيفة حقاً.

جلست على سريرها تتساءل ماذا تفعل، لفّت نفسها بالبطانيات طلباً للدفء، يمكنها البقاء في الكوخ لهذه الليلة.. لأنها لن تستطيع أن تفعل شيئاً، ربما في الغد في ضوء النهار، يمكنها التفكير بشيء.

صوت تحطم مرتفع من تحت جعلها تقفز رعباً، وتتجمد خوفاً.. أصغت جيداً.. ماذا لو كان هناك أحد في الأسفل؟ وكاد قلبها يتوقف عن الخفقان، لن يسمعها أحد لو صرخت.. لن يأتي أحد لنجدتها..

زفرت أنفاسها المحبوسة، وأحست برئتيها تؤلمانها. أصابعها مشدودة حول القنديل حتى توجعتا.. حدقت بالباب المفتوح تتوقع في أية لحظة أن ترى أحداً، أو شيئاً، يدخل عليها الغرفة.. لن تستطيع البقاء هنا.. لن تستطيع! أعصابها كانت تتوتر إلى درجة

الانهيار، لن تتمكن أن تنجو بحياتها هذه الليلة لوحدها.. وطرأت فكرة إلى رأسها.. لماذا لا تذهب إلى منزل درو.. إنها تعرف في أي اتجاه هو، وتعرف الممرات المختصرة ولو بشكل غامض. لقد دلها ويز عليها.. كل ما تأمله أن تجد هذه الممرات المختصرة في الظلام.. وضعت العلبة الفضية مع حقيبة يدها في حقيبة كبيرة، علقتها على كتفيها.

أصبحت مستعدة للذهاب.. لكن مشكلتها الأخرى كانت من أين تجد الشجاعة لتنزل إلى الطابق الأرضي.. كان لون وجهها أغبراً وهي تزحف إلى الباب، والخوف يقبض على معدتها، ويجعل قلبها يخفق بألم.. حاولت إقناع نفسها بعناد أن كل هذا في مخيلتها.. لكن هذا لم يفدها، فقد كانت واقعة في خوفها ولا مجال للهرب. أخذت نفساً عميقاً وحضرت نفسها مستمرة في الزحف إلى الأسفل. تركت المشعل منطفئاً، فإذا كان هناك أحد في الأسفل، فهي لا تريد أن تجذب اهتمامه.. كل ما تريده هو الخروج من الكوخ سالمة من أي سوء.

كان المكان هادئاً، الصمت يرن في أذنيها أكثر من رنين الأجراس، وتصورت وجود مقتحم متطفل يكمن لها في الظلام.. شدّت شفتيها الجافتين متوترة، وخطت درجة أخرى إلى الأسفل. فجأة سمعت صفقة النافذة بصوت مرتفع بفعل الريح.. تردد صداها في المنزل الصامت.. وكانت هذه هي القشة الأخيرة، فقفزت روندا راكضة ما تبقى من السلم وكأن أحداً يلاحقها، تخوض الماء الذي أحست به أكثر عمقاً الآن، متجهة إلى الباب الذي وجدته، كما كانت تخشى، غير مقفل.

ما إن خرجت حتى استدارت تتجه نحو منزل درو. تعثرت أكثر من مرة وتبللت من الرأس حتى أخمص القدم في دقائق.. وحاولت

أن تجد الطريق.. هكذا بدأت تتسلق، والوحل العميق يعيقها. وأحست باليأس والتعب المؤلم بعد مسيرة نهارها. ولم يعد لديها فكرة أين تذهب. كان المشعل دون فائدة وهي تحتاج إلى كلتا يديها لتتوازن.

وقفت فجأة.. وانسكبت دموع الإرهاق على وجهها، فأدركت ساعتها أنها كان يجب أن تبقى في المنزل.. على الأقل كانت ستبقى جافة وآمنة، أمّا الآن، فهي تحس أنها ضاعت.. وما من طريقة لكي تعود أدراجها.. ما من طريقة.

تسلقت إلى الأعلى قليلاً، ووصلت صدفة إلى طريق.. لم تكن تعرف ما إذا كان الطريق الصحيح.. لكن عليها أن تخاطر.. اختارت الاتجاه الذي ظنته يقود إلى منزل درو. ولو وصلت إليه ستكون آمنة.. وهذا هو الأمل الوحيد الأكيد الذي أبقاها مستمرة.

سارت نحو نصف ساعة تستخدم المشعل لتنير دربها وهي مسرورة أساساً لأنها أصبحت فوق الفيضان. أصبحت الآن معتادة على الظلام وازدادت حدة بصرها وهي تركز جاهدة على وضع ساق متعبة أمام الأخرى.. وهي تستدير في منعطف لم تكن متحضرة لأنوار باهرة أعمتها فجأة.

كانت السيارة تقريباً تكاد تصدمها فوقفت مرتبكة مسمرة وسط الطريق.. فيما بعد، لم تفهم لماذا لم تسمعها قادمة، لكنها تذكر بوضوح مؤلم أنها وقفت في الطريق مسمرة، مشلولة الحركة، ومتأكدة أنها ستقتل! لقد تواجها بسرعة حول ذلك المنعطف الخطير، ولم يكن أمام السائق فرصة لإطلاق زموره. وسمعت صريراً مرعباً للمكابح، وأخطأتها السيارة بإنشات قليلة وهي تنزلق فوق الأرض الرطبة وتصطدم بالخندق.. بقيت روندا واقفة مسمرة للحظات، وهي ترتجف لا تجرؤ على النظر إلى السيارة على يمينها،

متأكدة أن السائق قتل.

كأنها في حلم سمعت صفق باب.. ثم أطبقت أصابع قاسية على كتفيها تديرها إلى أن أصبحت تنظر إلى وجه غاضب شرس، وجه درو ماتيوز، الذي كان، وبشكل غير معقول، غير مصاب بأذى. هزّها بعنف اصطكّت معه أسنانها، ثم صاح بها دونما سيطرة على نفسه:

- أيتها البلهاء، الغبية، المجنونة اللعينة! ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟

حدقت به روندا بصمت، مذهولة مرتبكة. هذا كله كثير على تحملها.. الفيضانات، الخوف، الحادثة، والآن غضب درو.. وبدأت تبكي باندفاع وجسدها النحيل يرتجف تحت يديه.

صرّ درو أسنانه يشتم بعنف ودموعها تزيده غضباً.. وصاح بها:

- حباً بالله.. توقفي عن البكاء!

كلماته الخشنة التي لا رفق فيها جرحت كبرياءها.. فجاهدت بشكل ظاهر لتسيطر على نفسها.. وهمست باكية:

- لا تكن غاضباً.

- وماذا تتوقعين؟ كدت تقتلينا سوية!

شرقت دموعها بشكل يثير الإشفاق: أنا آسفة.

نظر إليها لحظات، ثم تنهد يلامس وجهها بلطف.

- اللعنة روندا.. ظننت نفسي سأصدمك.. لقد أخفتني كالجحيم!

كان يسيطر على نفسه ويكبت غضبه. سألته بقلق:

- وهل أصبت بسوء؟

- لا.. لست مصاباً.. مع أن السيارة تبدو محطمة.

تقدما نحوها، كانت المقدمة غائصة في الخندق، والزجاج

الأمامي محطم، ولا يمكن زحزحتها، ولا يمكن تحريكها في ليلة كهذه دون عون من أحد.

كررت روندا: أنا آسفة.

أمرها درو بتواضع هادىء:

- توقفي عن الاعتذار.

تسلل عبر المقعد الأمامي المحاذي لمقعد السائق، المكان الوحيد الذي يستطيع منه دخول السيارة، وحاول إدارة المحرك.. لكن، لا شيء سوى صوت معدني ممزق.. حاول مرة أخرى دون فائدة. وأخذ يشتم وهو ينزل منها ويتمتم:

- لا شيء.

ضرب قبضته على السقف.

صمتت روندا تكاد تقع من الإرهاق.. كان مبللاً مثلها، وثيابه ملتصقة بغير ارتياح إلى جسده المتوتر.. سألت وكأنها تثق أنه يعرف:

- ماذا سنفعل؟

هز رأسه وهو يفكر بقوة:

- لن نستطيع البقاء في السيارة.. سنتجمد برداً.. والمطر يدخلها من الجانب المكسور للزجاج الأمامي.

سألت ببؤس:

- ومنزلك؟

حدّق بها، يلاحظ تعبها الشديد، وضعفها:

- إنه بعيد جداً، والطريق خطرة، لن تتمكني من الوصول يا صغيرة.. والعودة إلى الكوخ يعني العودة إلى منطقة الطوفان. ولا نستطيع المخاطرة في الظلام، فالمياه ستزداد ارتفاعاً مع الوقت.

خطرت ببالها فكرة، فسألت بذعر تمسك ذراعه:

- ويز.. أين هو ويز؟

- لا تقلقي، ذهب إلى «ادنبره» هذا الصباح ليزور صديقاً، ولا أظنه سيعود الليلة. حتى ولو عاد فسيكون أكثر تعقلاً من أن يذهب إلى المنزل.

مدّ يده إلى السيارة ليجذب بطانية من المقعد الخلفي، وقارورة فضية من قسم القفازات. وأمسك بيدها:

- هيا بنا.

- إلى أين؟

- هناك كوخ قديم فارغ في مزرعة، ليس بعيداً من هنا. يمكننا قضاء الليل فيه، وليس لدينا خيار آخر فمن المستحيل فعل شيء آخر الليلة.

تمسكت روندا بيده، وهما يتسلقان بعيداً عن الطريق. بعد عشر دقائق كانا في الكوخ الخرب، فتح درو الباب عنوة بكتفه وجذبها إلى الداخل. كان مظلماً ورائحة الرطوبة والعفن تنبعث منه، لكنه على الأقل كان جافاً وصلباً سالماً من الفيضانات.. وقال آمراً يأخذ المشعل منها:

- انتظري هنا ولا تتحركي.

انتظرت وهي تحدق في الظلام بعينين لا تريان شيئاً، تصغي إلى صوته يتحرك.. ورأسها تشغله الصدمة وأحداث الأمسية.

عاد درو خلال خمس دقائق، يبتسم:

- كل شيء على ما يرام.. هناك فراش قديم، وحطب مهترىء يكفي لإشعال نار.. لن يكون «الريتز» بالضبط لكننا سنكون بخير.

أمسك بيدها مجدداً وقادها وسط الظلام، ووقفت روندا تراقبه، تمسك له المشعل وهو يجمع الحطب ويشعل النار في الموقد الحديدي الصغير.. هدأت ببطء وأحست بالبرد الشديد، لكن النار

اشتعلت مضيئة وأصبح المكان دافئاً.

تلمّس وجهها:

- يا إلهي! أنت متجمدة!

أعطاها البطانية:

- إنزعي ملابسك المبللة، وتدثري بهذا.

لاحظ ترددها، فخاطبها بيأس:

- روندا.. هذا ليس وقت الاحتشام.. سوف تصابين بالتهاب رئوي إذا لم تخلعي هذه الملابس.

نظرت إليه متحدية:

- أتسمح أن تدير لي ظهرك؟

أشعل سيكارة واستدار.

راقبته لحظات ثم راحت تنزع ثيابها وأسرعت تتدثر بالبطانية قبل أن تعجز عن الحركة بسبب البرد.

ما إن انتهت حتى نادته فالتفت إليها ثم اقترب منها ليساعدها في الجلوس على الفراش الذي جرّه قرب النار.. وبسعادة، أحست بالدفء يدبّ فيها تدريجياً، والحرارة تعود إلى أوصالها.

انحنى إلى الفراش قربها.. ثم أشار إلى الحقيبة التي انتزعها عن كتفيها:

- ما هذه؟

ابتسمت بارتباك: لن تصدق.

- جرّبي..

فتحت الحقيبة وأخرجت العلبة الفضية.

ضحك درو بصوت هامس، وبلطف:

- أوه روندا.. روندا!

احمر وجهها وأشاحت عنه، وهي تشعر به فجأة جالساً قربها.

أشعل سيكارتين، أعطاها إحداهما:

- أخبريني كيف وصلت إلى الطريق؟

سحبت أنفاساً من السيكارة:

- خرجت لأتمشّى طوال النهار، حين عدت إلى الكوخ كان عائماً بالماء. ولم أستطع أن أصدق، لا هاتف، لا كهرباء، وظننت أنني أستطيع تدبير أمري في الأعلى.. لكن الظلام كان دامساً ومخيفاً جداً، فركضت أبحث عنك. لم أكن أقصد التسبب بالحادث.. لم أسمع السيارة أو أراها إلى أن فات الوقت.

وعضت شفتها.. لفّ ذراعه حولها يضمها إليه:

- لا يهم.. أقسم لك، لا يهم.. لأن السيارة مؤمنة، فلا تقلقي، أنا سعيد لأنني لم أصدمك.

- إلى أين كنت ستذهب؟

- أتصدقين؟ لأراك. ظننتك عدت إلى لندن.. حين فاض النهر فكرت أن من الأفضل أن أتأكد.. اتصلت بشقتك في لندن وتكلمت مع فلديني الذي أكد لي أنك لا زلت هنا، فقلقت وجئت لأطمئن عليك.

أحست بالسعادة تغمرها:

- شكراً لاهتمامك.

قال بخشونة:

- شخص ما يجب أن يهتم.. لا يبدو أنك قادرة على الاعتناء بنفسك.

جعلها هذا تضحك..

- أشكرك كثيراً.

كان شعرها يجف بسرعة ليصبح هالة ذهبية حول وجهها الصغير.. وسألت:

- أتحصل الفيضانات كل سنة؟

- لا.. كل بضع سنوات.. ووصلت المياه إلى الكوخ بسبب موقعه في الوادي.. كان السكان المحليون يتوقعون حدوث الفيضانات منذ أشهر طويلة، ولقد حذرت شيلي لكنها أرادت الابتعاد عن لندن.. المجيء إلى هنا في مثل هذا الوقت من السنة جنون!

أخبرته روندا بأمر شيلي وبراد وأملهما في بداية جديدة.. وأنهت كلامها بدفاع:

- على أي حال.. أنت هنا.

- وأعرف ما أفعل.

- وويز؟

- يحتاج إلى بعض الهدوء والانفراد.. حياته كانت صعبة مؤخراً..

صمت فجأة وكأنه أحسّ أنه تكلم كثيراً.

قالت حالمة: إنه مثلك.

ابتسم: شكراً لك.

تمتمت، وهي تحس بذراعه لا تزال تلتف حولها: وأنا متعبة.

قال ضاحكاً: نامي إذن.

راقبته وهي تستلقي ناعسة، ملتفة بالبطانية بشدّة. جمع المزيد من الحطب يشعل النار مجدداً، ثم علق ملابسها فوقها كي تجف خلال الليل.

لقد اهتم بها ورعاها جيداً هذه الليلة، وركنت إلى اهتمامه بها.. فانزلقت إلى نوم خفيف على الفور وهي على ثقة أنه لا شيء خاطئاً يمكن أن يحدث.

استفاقت مجفلة بعد ساعات، تحس ببرد وخوف.. بقيت جامدة لحظات، عيناها تحدقان، قلبها يخفق بسرعة، وهي تتذكر

أين هي وما الذي حدث.. ثم تقلبت لترى درو، كان جاثماً القرفصاء قرب النار يدخن، وجهه متصلب، عيناه سارحتان، وهو ينظر إلى ألسنة اللهب.. كان الجو حوله ساكناً.. راقبته روندا بصمت ونظرت إلى النار المتأججة، فاشتعلت مشاعرها في عروقها..

همست تستغيث به: درو.. أحس بالبرد والخوف.

تحرك درو ومدّ يديه إليها. واحتواها ملتفة بالبطانية بين ذراعيه، وشدها إليه بقوة.

تعلقت به ترتجف، فألقت رأسها على كتفه بتنهيدة اكتفاء صغيرة..

قال بخشونة:

ـ عودي إلى النوم.

تمتمت بطاعة: أجل.

ـ حباً بالله، اهدأي.

ضحكت بنعومة، دافئة الآن غير خائفة.

حين استفاقت مجدداً، كان الفجر قد انبلج.. وسمعت أصوات الطيور تصدح بروعة في الخارج.. فتحت عينيها ببطء ورفعتهما إليه، لتجد أنه جالس على حافة السرير ينظر إليها بعينيه الجادتين جداً.

ـ صباح الخير.

احمر وجه روندا، وسألت دون أن تدري لماذا:

ـ هل.. هل خمدت النار؟

ـ منذ ساعات.

عندما اقتربت منه أحست بدقات قلبه تتسارع تحت راحة يدها فشعرت بالنصر.

كم تحبه.. كم تريده! لا شيء في الدنيا يهم سوى أن تكون قربه.. إنه الرجل الوحيد الذي ستحبه أبداً. إنها تعرف هذا من أعماقها.

كانت العينان اللتان تأسران عينيها سوداوين، غير مبتسمتين:

ـ روندا..

قالت بوضوح: «ضمني إليك».

أغمض عينيه وكأنه يخوض معركة داخلية شرسة. مدت يدها تلامس وجهه، كانت بشرته خشنة.. ثم تأوه وشدها أكثر، فأحست بمشاعر الحب تتفجر داخلها، وتطفو فوق بشرتها، وتسري مع دمها..

دفع بلطف شعرها عن جبهتها، وجودها معه هكذا كان أكثر جمالاً، وتدميراً، مما تصورت يوماً.. أرادت أن تفكر، أن تتكلم، لكن عينيه كانتا مغمضتين، فكورت نفسها بتكاسل واسترخاء كاملين.. فابتسم لها..

لم تعرف ما الذي جعلها تفتح عينيها فقد أحست أن شيئاً ما يجري، شيئاً ما غير حسن.. درو متوتر إلى جانبها، وعندما رفعت رأسها عن كتفه وجدت ويز يقف مسمراً، متوتراً بالباب، وعيناه متسعتان بسبب عناقهما.. تعابير وجهه ضائعة غاضبة.

نظرت إلى درو، كان ينظر إلى ابنه لكنه لم يقل كلمة، فقد تمتم ويز بشيء من بين أنفاسه، واستدار خارجاً من الغرفة خطواته سريعة، يتردد صداها.

تنهد درو بثقل ووقف:

ـ يجب أن أذهب خلفه، إنه متألم وغاضب.

ـ أجل.. أعرف.

ركع قربها، عيناه ضيقتان معذبتان:

هزت رأسها بصمت، فأكمل:

ـ سأجد ويز وأعود.. انتظريني!

كان يبحث في وجهها ويتكلم غاضباً. هزت رأسها مجدداً، كانت صامتة، فاقدة النطق لسبب ما. انحنى درو فوقها يقبل رأسها مكرراً:

ـ انتظريني.

واختفى.

لحسن الحظ كانت ملابسها جافة فارتدتها على الفور، تتمنى لو تستطيع أن تأخذ حماماً ساخناً. لكنها لم تستطع سوى أن ترش وجهها وتغسل يديها في الماء البارد من البرميل المليء بماء المطر.. وللمفاجأة لم يكن هناك مطر اليوم وبدت السماء رمادية، بلون أزرق متسخ. نظرت روندا إلى الوادي، كان مغطى بالضباب، لا يمكن رؤية شيء منه أبداً. أحست بالقلق الغريب، إحساس كان يزعجها باستمرار منذ رأت ويز. كيف وجدهما بحق السماء؟ لقد قال لها درو إن ابنه في «ادنبره».. لا شك أنه وجد السيارة المعطوبة على الطريق، وفتش عنهما.

التقطت العلبة الفضية والحقيبة وخرجت من الكوخ، بعيداً عن درو.. كادت تتصرف بغباء لولا وصول ويز في الوقت المناسب ولأن لديها غريزة الحفاظ على الذات قررت أن تهرب.

* * *

١٠ ـ خائفة!

في وقت متأخر من اليوم التالي، وصلت روندا إلى لندن.. كانت محظوظة بشكل رائع.. فبعد مغادرتها كوخ المزرعة، سارت في اتجاه القرية، وتوقفت سيارة لها، وكانت لصاحب الحان في القرية. أوصلها إلى هناك، وأوصلتها زوجته إلى أقرب بلدة، بعد سماعها بطوفان الكوخ. اشترت روندا بعض الملابس، وحجزت غرفة في فندق حيث أمضت طوال بعد الظهر في مغطس ماء ساخن.

في الصباح التالي استأجرت سيارة، وقادتها إلى لندن.. أحست بارتياح لعودتها إلى منزلها، ولحسن الحظ لم يكن هناك أثر لنينو ولا لأصدقائه الطليان.. لقد كان الوقت الذي أمضته في اسكتلندة كالحلم.. الشقة وحياتها في لندن هما الحقيقة، وتريد المزيد.

نامت فترة ما بعد الظهر وطوال الأمسية خائرة القوى بعد القيادة الطويلة للسيارة. وأيقظها رنين الهاتف عند الساعة التاسعة ليلاً.

كان درو، وبدا غاضباً: روندا؟

قاومت لتجيب بصوت بارد: نعم؟

ـ أين كنت بحق السماء؟ لقد فقدت عقلي قلقاً!

كان صوته المنخفض ممتزجاً بالغضب، لكنها ردت بهدوء مرتجف:

ـ لا داعي للقلق، لقد عدت إلى المنزل، وأنا بخير.

www.rewity.com

أخذ يشتم بعنف وبصوت منخفض:

ـ لماذا لم تنتظريني؟

أصبح صوتها متحدياً، تغالب الاندفاع بأن تعترف له بكل شيء:

ـ لم أرغب في... لا أستطيع الكلام الآن.. أنا آسفة..

وأعادت السماعة بسرعة تقارب من البكاء.

رن جرس الهاتف مجدداً وعلى الفور، فتجاهلته، تصدّ الصوت عن أذنيها بيديها وهي تذرع الغرفة.. لماذا لا يتركها وشأنها؟ لا تستطيع تحمل أي ضغط منه.. فلسوف تنهار.. يجب أن تبقيه على بُعد منها.. ما إن توقف رنين الهاتف حتى انتزعت السماعة وتركتها مفتوحة.

في الصباح التالي التقت نينو على السلم وهي تخرج لتتمشى.. وكان لوحده.. تمكنت أن تبتسم له، لكن بجهد:

ـ أين هم أصدقاؤك؟ توقعت أن أجد شقتي مليئة بهم.

هزّ كتفيه بحزن:

ـ هناك إضراب لعمال المطار في روما.. ولن يصلوا قبل الأسبوع المقبل.. ولم أكن أتوقع حضورك أيضاً.

ـ لقد طاف الكوخ بالماء.. ولا جدوى من البقاء هناك.

هز رأسه:

ـ اتصل ماتيوز أكثر من مرة.

ـ أعرف.. لقد قال لي.

لامس نينو خدها:

ـ هل هناك شيء أفعله لك حبيبتي؟

كان في صوته جو الاستسلام.. إنه يعرف طبعاً أنها تحب درو.. فهي موصومة بحزنها، وحبها.. ولم يكن من السهل أن يتركها وشأنها كما كان يعتقد.

ـ لا شيء هناك يمكن لأي كان أن يفعله.. لكن شكراً على أي حال.. أعتقد أنني سأتجاوز الأزمة.

وهي تسير في الحديقة العامة بدأت تفكر بجلاء. من الممكن لها أن تقفل السماعة في وجه درو، لكن ما إن يعود إلى لندن فسيكون الأمر مختلفاً.. فلو اختار أن يضغط عليها، فلن يكون لديها فرصة تذكر.. درو ماتيوز هو رجل من النوع الذي يحصل على ما يريد ولا يترك لشيء أن يقف في وجهه. وإذا أرادت أن تتجنبه لراحة بالها، عليها الابتعاد عن الشقة.. فهي أول مكان سيبحث عنها فيه.

بحثت روندا في زوايا ذاكرتها، متسائلة أين تذهب، تريد مكاناً لا يمكنه أن يفكر بالتفتيش فيه عنها هذا إذا فكر بذلك، ولم تجد سبباً وجيهاً يدعوه للتفتيش عنها. توصلت إلى التفكير بمنزل لوك. إنه مسافر في روما.

إن الحصول على رقم هاتف شقة لوك في روما ليس أمراً سهلاً، لكنها تمكنت من هذا في النهاية.. ولحسن الحظ لم يطرح عليها الكثير من الأسئلة، ربما لسماعه إلحاحها واليأس الذي لم تستطع أن تخفيه. قال لها ان بإمكانها استخدام منزله قدر ما شاءت، وأعطاها العنوان ورقم هاتف أخته، التي لديها مفتاح إضافي.. ولسوف يتصل بأخته على الفور ليشرح لها الموقف مقدماً.. وأحست روندا بنفسها قاصرة عن أن تشكره بما يكفي.

في نصف ساعة كان كل شيء مدبراً، فكرت بأخذ الضروريات فقط فرمت بعض حاجياتها الأساسية في حقيبتها.. وبدون تعقل، علبة المجوهرات الفضية، ونزلت تبحث عن نينو لتشرح له. لكنه لم يكن هناك، بابه مقفل. كتبت له رسالة مختصرة تطمئنه دون أن تعلمه إلى أين ستذهب، ورمتها من تحت الباب ثم غادرت المنزل واستقلت سيارة أجرة كانت تنتظرها.

كان منزل لوك كبيراً جداً.. ملأه بأثاث فاخر، وتحف من الفن الحديث.. أحست روندا وكأنها ضائعة في غرفته الضخمة المنمقة المزخرفة.. لكنه ملاذ.. ملاذ تحتاج إليه، وتحس فيه بالأمان.. فكان أن نامت جيداً تلك الليلة.

بعد ظهر اليوم التالي اضطرت للخروج من عزلتها إلى العالم الخارجي لتشتري الطعام. واختارت شارع «أوكسفورد» عن قصد لتسير فيه لاكتظاظه بالناس، سعيدة أن تضيع بين الجموع، واصطدمت بإيڤا بلانكان.

ابتسمت المرأة الفرنسية ابتسامة مذهلة: مرحباً روندا.

بدت وحشية الجمال بثوب من التويد العاجي ومجوهرات ذهبية.. ولم تستطع روندا إخفاء انفعالها.

ـ مرحباً إيڤا.

اعترفت في نفسها بألم: إنها الغيرة الصرف. فإيڤا تعيش في منزل درو.. لهذه المرأة كل شيء تريده روندا. وتحركت لتتجاوزها، ولكن إيڤا أمسكت بذراعها بخفة، وسألتها بابتسامة ساحرة:

ـ ألديك وقت لفنجان قهوة؟

كادت روندا تشهق لكنها تماسكت.. نظرت إلى ساعتها تحاول إيهامها أنها على عجلة من أمرها:

ـ لا.. لا.. حقاً.. فأنا.. آه..

ـ أوه.. أرجوك. بكل تأكيد لديك عشر دقائق. أريد حقاً أن أكلمك.

فقدت روندا السيطرة على الكلمات، تتساءل ماذا يجري بحق السماء.. ووجدت نفسها تنقاد نحو مطعم صغير، وأدركت فجأة ماذا يحدث.. إنها على وشك أن تتلقى إنذاراً بالابتعاد.

طلبت إيڤا بلانكان فنجانين من القهوة، وجلستا إلى طاولة قرب النافذة. أخرجت الفرنسية علبة سكائر من حقيبة يد جلدية فاخرة وقدمت واحدة لروندا.

وانتظرت روندا التفجير، وافترضت أنها تستحقه:

ـ قلت إنك ترغبين في الكلام.

ـ أجل.. أريد الكلام عن درو.. أنا لا أريد أن أتطفل.. لكنني أعرف، من مجرد النظر إليك، أنك تحبينه..

قاطعتها روندا بسرعة:

ـ أرجوك.. لا أريد الكلام عن درو.. أؤكد لك أنني لن أراه مجدداً.. أنت لا تفهمين..

كانت عينا الفرنسية رقيقتين:

ـ لكنني أفهم.. وبإمكانك القول أن هذا أمر لا يعنيني لو شئت.. لكن درو صديق طيب، وأنا لا أطيق رؤيته كما هو عليه الآن.

صديق؟ وكادت روندا تضحك.. كان يمكن لها أن تضحك لولا أنها كانت على وشك البكاء.. وتسارعت اللهفة إلى تفكيرها:

ـ كما هو عليه الآن؟ ماذا تعنين؟

ـ عاد من اسكتلندة بالأمس. وكما تعرفين، رينيه وأنا نقيم عنده.. مزاجه سيء، غاضب جداً، قلق، إنه يتعذب وهو يحاول أن يجدك.

لم تكن روندا تصغي جيداً.. وسألت:

ـ رينيه؟ رينيه؟

كانت تعي أن سؤالها فظ، لكنها لم تستطع منع نفسها.. فهذا أمر مهم جداً.

قالت إيڤا وهي تهزّ بنعومة كتفها الجميل: زوجي..

ثم اتسعت عيناها بدهشة:

ـ أنت بالتأكيد لم تظني..

اعترفت روندا بغباء:

ـ أجل.. هذا ما ظننته.

ضحكت إيڤا بلانكان.

ـ فكرة مثيرة للاهتمام.. فدرو رجل مميز.. لكنني أحب زوجي.. ثلاثتنا أصدقاء مقربين، وصداقتنا تعود إلى سنوات طويلة.. رينيه في لندن لأجل أعماله، وقد دعاه درو للإقامة في منزله.

أرادت روندا أن تصيح فرحاً.. كيف يمكن لها أن تكون عمياء هكذا حول درو؟ تذكرت الرجل الأسود الشعر، الغريب المظهر الذي كان في الحفلة مع إيڤا بلانكان ودرو.. رينيه.

قالت معتذرة:

ـ يجب أن تسامحيني مدام بلانكان.

ـ إيڤا.. أرجوك.

ابتسمت روندا:

ـ إيڤا أحد الأسماء المفضّلة لديّ.

قالت الفرنسية:

ـ جدي كان إنكليزياً.. وكل شقيقاتي يحملن أسماء إنكليزية.. اعذريني قليلاً، يجب أن أضع البودرة على أنفي، كما يقال هنا.

لوحدها على الطاولة، ارتشفت روندا القهوة. القفز إلى استنتاجات خاطئة كان دائماً أحد أخطائها. لكنها هذه المرّة تجاوزت الحدّ.. إيڤا ودرو لم يكونا يوماً عشيقين.. إنها امرأة متزوجة وسعيدة، وهذا يعني أن درو ليس ذلك العابث البارد القلب الذي ظنته. ولم يكن يلاحقها بينما عشيقته تنتظره في منزله.. كل هذا

كان وليد مخيلتها.. إنه وهم اختلقته لتمنع حبها الهش المخيف له.. هل كانت حقاً خائفة من أن تتألم؟ وهي تفكر به أحست أن قلبها مليء بالحب.. لكن كل هذا لن يغير واقع إنه لا يحبها.. ولا واقع أنها تصرّفت معه بطريقة خاطئة ولن تستطيع مواجهته.

عادت إيڤا بلانكان إلى الطاولة مجدداً.. وسألت:

ـ أترغبين في المزيد من القهوة؟ سأطلب أنا المزيد فالتسوق دائماً يجعلني شديدة العطش.

ابتسمت روندا: شكراً لك.

عرفت أنها وجدت صديقة جديدة غير متوقعة. من الجنون التفكير أنها منذ عشر دقائق كانت مستعدة أن تضع يديها في عيني هذه المرأة وتقتلعهما.

ـ إيڤا.. أنا حقاً أريد أن أعتذر.. لقد كنت فظة جداً معك.. أخشى أنني.. حسناً، لقد قفزت إلى استنتاج خاطىء يوم شاهدتك في منزل درو، ولأكون صادقة، أحسست بالغيرة.. أتمنّى لو تستطيعين مسامحتي، وأتمنّى أن نصبح صديقتين.

ابتسمت إيڤا:

ـ أنا واثقة أننا سنصبح صديقتين، على أي حال، لنا صديق مشترك.

قالت روندا بحزن:

ـ درو ليس صديقاً لي.. أظنني أفسدت كل شيء.

هزت إيڤا رأسها:

ـ درو لن يتركك تفسدين كل شيء.

ـ لا أفهم..

ـ لقد عرفت درو منذ سنوات، حياته كانت قاسية، ظالمة، لم تهادنه أبداً. صوفيا، زوجته، كانت باردة وحقودة، ولم يكن هناك

مجال للعيش معها.. لم تعطه شيئاً، حتى أنها حاولت أخذ ابنه منه.. أما الآن، والحمد لله، فقد تحرر منها ولديه ويز. لقد انتظر سنوات عديدة ليجد المرأة المناسبة.. أظنه خائفاً من أن يطلب شيئاً جيداً لنفسه، شيئاً جميلاً، لكنني أعتقد، أنك أنت المرأة التي كان ينتظرها.. وآمل هذا.. إنه بحاجة إلى شخص مثلك.

كانت عيناها لطيفتين، حزينتين، وجادتين.

قالت روندا بأسى:

ـ كم أود أن أعتقد ذلك. لكنني لا أصدق مهما حاولت جاهدة.

ارتفع رأسها فجأة واتسعت عيناها.. كان درو يدخل المطعم لتوه، يسير باتجاه طاولتهما بغضب، كالأسد الجريح، وجهه بارد، وملامحه شرسة.

قالت إيڤا:

ـ جاء دوري الآن لأعتذر.. لقد اتصلت به وقلت له إننا هنا.

ـ أوه!

وابتلعت روندا كل الكلمات، فكرها لم يستوعب الخدعة الصغيرة، وتسمرت عيناها على الرجل القادم نحوهما.

ثم أصبح درو إلى جانبها، عيناه تقدحان شرراً وهو يجذبها لتقف، ولم يلاحظ العيون الفضولية المتجهة إليهما.. وقال بخشونة:

ـ ستأتين معي.. وأنا لن أجادلك.

استدار يبتسم لإيڤا: أرجو عذرك.

ابتسمت بمرح: طبعاً.

قالت روندا: مهلك لحظة..

لكن يده التي تمسك بمرفقها أزعجتها، وجعلت قلبها يخفق بشدة.. وشدّها وراءه قائلاً:

ـ قلت لك لن أجادلك روندا.. فاصمتي.

عاندته قائلة:

ـ دعني! قلت لك..

ـ سمعت ما قلتِه لي.. أتريدين افتعال فضيحة علنية؟ هيا افعلي..

نظرت روندا إلى الرؤوس المحدقة بهما. وشحب لونها، سأل: حسناً؟

ـ أين سنذهب؟

ـ إلى حيث نستطيع أن نتكلم.

هزت كتفيها، لم تستطع فهم دوافع غضبه.

تركته يدفعها إلى سيارة حمراء فاخرة بصمت، وصعدت بسرعة، صفق الباب بعنف خلفها مما جعلها تجفل. راقبته من تحت رموشها وهو ينطلق بالسيارة عبر الزحام، يحفر الطريق حفراً.. وهي تنظر إلى وجهه، أدركت كم اشتاقت إليه منذ غادرت اسكتلندة.

كان يقود بسرعة فائقة لكن ليس بتهور.. كانت يداه تسيطران بالكامل على السيارة القوية.. وتصاعد الصمت المتوتر، وتمددت أعصاب روندا، أصابعها تلتوي بنرفزة في حجرها.. بدا غضب درو ملموساً يملأ السيارة المنطلقة إلى خارج لندن باتجاه الساحل.

فتشت في حقيبتها عن السكائر.. فسمعت رداً حاداً جعلها تجفل:

ـ في الصندوق.

ـ أتريد واحدة؟

قال ببرود وأدب: شكراً لك.

أشعلت اثنتين، وضعت واحدة بين شفتيه، استطاعت أن ترى وجهه الأسمر، وعينيه السوداوين تحرسهما رموش طويلة وحبست

أنفاسها بألم، وهي تتراجع إلى زاويتها من السيارة.

تابعا السير بصمت إلى أن أصبحت لندن وراءهما.. ولم يكن لدى روندا فكرة عن مكان وجودهما، أو إلى أين يتجهان. كانت تنظر عبر النافذة وترى الأرض الريفية المحاطة بالأشجار.

أخيراً أوقف درو السيارة.. كانا في البرية لوحدهما تماماً.. استدارت لتنظر إليه بذهول، هل جن؟ وسألت:

ـ أين نحن، ولماذا نحن هنا وما اسم هذا المكان؟

سرح بنظره نحو الأفق المنبسط البعيد:

ـ شئت أم أبيت.. سنتكلم. ونحن هنا في «كنت».

لاحظت أن هناك سخرية في صوته، فقالت بجدية:

ـ أنا لا أجد ما يمكن أن نتحدث به حقاً.

كم مرة قالت له هذا؟

ـ فلنبدأ بأن تشرحي لي لماذا لم تنتظريني في الكوخ كما وعدتني؟.. لماذا اختفيت دون أن تتركي أي أثر؟.. ولماذا لم تتصلي بي هاتفياً؟ وأخيراً لماذا هربت من شقتك؟.

كان يميل إلى الوراء، ذراعه على مقعدها.. فتحركت بغير ارتياح، تدرك أنها غير مضطرة لشرح شيء له.. مع ذلك، وللغرابة، وجدت أنها تريد أن تشرح له، وتبحث عن الكلمات المناسبة.

قالت مترددة، تعض شفتها السفلى بقوة:

ـ أنا.. عدت إلى لندن دون انتظار، ودون أن أخبرك لأنني.. لأنني أحسست أنني خائفة من مواجهتك بعدما كدت أفقد السيطرة على.. على..

ـ مشاعرك؟

احمرّ وجهها:

ـ أجـ.. أجل. كنت خائفة أن تنظر إليّ بازدراء، أن تراني امرأة

سهلة المنال..

أحاطت يداه بوجهها.

ـ أوه روندا.. أحبك أيتها الطفلة العنيدة المثيرة للأعصاب. لقد وقعت في حبك لحظة رأيتك في المطعم مع شيلي.. وأنت أعلنتِ عليّ الحرب منذ ذلك الوقت.

نظرت إليه بعينين مصدومتين، غير مصدقتين، ورددت بذهول: أتحبني؟

كرر ببطء:

ـ أحبك.. وأحسست نحوك بالغضب، بالغيرة، لكن أبداً لم أحس بالازدراء، ولم أفكر يوماً بكل تأكيد أنك سهلة المنال.. فتوقفي عن التفكير هذا فوراً.

وضمّها إليه، فاستجابت دون خجل، وبشوق.. درو يحبها! ما أجمل هذا، وما أروعه، إنه الشيء المهم الوحيد في حياتها.

فجأة أبعدها عنه، وأشعل سيكارتين بيدين مرتجفتين.. ثم قال بصراحة:

ـ أريد أن أخبرك عن زواجي.. أريدك أن تعرفي، أنا واثق أنك سمعت الشائعات، وآن الوقت لإيضاح الأمور.. التقيت صوفيا حين كنت في الثامنة عشرة، كانت هي في الخامسة والعشرين.. التقينا في فرنسا، كانت تعيش هناك، وكنت أسافر عبر فرنسا. لقد عشت في ذلك المنزل الذي تربيت فيه طويلاً حتى أنني أردت التعرف إلى العالم.. وكانت جميلة، عنيدة، متوحشة، وحرة.

صمت وعيناه الرماديتان تتفرسان بعينيها:

ـ ظننت نفسي أحببتها. أوه.. أعرف الآن أنه كان مجرد طيش.. حب فتى في الثامنة عشرة لا يعرف شيئاً من الدنيا، من الحب. لكن في ذلك الوقت كنت أريدها بشدة.. فتزوجتها.

www.rewity.com

مرّر درو يده في شعره الأسود وأكمل:

ـ كانت هذه كارثة بالطبع.. أكبر غلطة ارتكبناها في حياتنا.. كنا صغيرين، غير ناضجين.. صوفيا مجنونة تماماً، وأنانية بشكل كبير، متطلبة ومدللة كثيراً. والداها عارضا هذا الزواج منذ البداية وأعتقد أنني كنت أنانياً كذلك في إصراري على الزواج منها، وإصراري على أن تعيش معي حسب مستواي، وخلال سنة حملت بويز، وكرهت حملها، كرهت القيود التي فرضها عليها الحمل، كرهت ما اعتبرته بشاعة لجسدها، وكرهتني لإعطائي الطفل لها.. خلال سنة كان كلانا قد نضج، وتغيّر.. ووجدت أن الحب الذي كنت أشعر به قد ولّى.. ولم يبق هناك سوى الشفقة، وعدم الاكتراث.. ما إن ولد ويز حتى عادت صوفيا إلى نمط حياتها السابق، تجاهلت الطفل، وتجاهلتني. وحدثت بيننا شجارات مريعة. كنا نتعمد القسوة، التدمير، وكانت صوفيا غير مخلصة وبشكل وقح، وكنت أنا بارداً.. متوحشاً.. أتمنّى لو أستطيع أن أقول لك، أنني حاولت الإصلاح، ولأجل ويز.. لكنني لم أفعل هذا.. كنت قد بلغت العشرين، وفكرت أن من الأفضل لويز أن يتربّى في جو معقول، بدلاً من الجو المعقد المرير والمتوحش.. هكذا تركتها، وما إن تركتها حتى قررت صوفيا أنها تريدني أن أعود.. وتريد أن نبدأ تجربة ثانية لزواجنا.. لكنها لم ترغب بي إلا لأنني لم أعد متوفراً لها.. وربما كان يجب أن أعود، ولو من أجل ويز، لكنني لم أستطع..

نظرت روندا من النافذة، تراقب عصفورين يطوفان فوق الحقول بتناغم رشيق.. ألوانهما الصارخة تلفت الأنظار.. إنهما سعيدان، وتمزق قلبها ألماً لظلم الحياة.. ثم سألت بهدوء:

ـ لماذا لم تطلقها؟

أشعل درو لفافة أخرى:

ـ لم يكن هناك جدوى من الطلاق.. لم يكن في نيتي أن أتزوج مجدداً.. وانتهى عهدي بالحب.. كما أنني أردت أن يكون لي رأي في كيفية تربية ويز.. كزوج، كان لي الحق القانوني في الوصاية.. وكانت صوفيا تستخدمه سلاحاً في محاربتي.. وكانت ستحارب للحصول على حق الوصاية في الطلاق، وكانت ستكسب، وكانت ستدمر له حياته لمجرد الانتقام.. عدا عن حقوق الوصاية كنت سأبقى معزولاً تماماً عنه.. وكانت لا تريد سوى المال، وكنت أستطيع شراء الوقت الذي أريده مع ابني أكثر بكثير مما لو كنت مطلقاً.

قالت روندا بحزن، وصدمة: فهمت..

قال والدفء في صوته:

ـ لا.. لم تفهمي بعد حبي..

مال إلى الأمام وقبّل خدها بحنان.

ـ في اليوم التالي للقائك، اتصلت بمكتب المحامين وأعطيتهم تعليمات لبدء معاملات الطلاق.

ـ لكن..

ـ لم أكن أهتم ساعتها، أردت فقط أن أكون حراً منها. لكن الآن لم يعد الأمر مهماً.. تزوجيني روندا.. أنت لي.. وأريدك أن تكوني لي قانونياً.

ـ درو.. لا أريد أن أطالبك بشيء. أريد منك أن تكون حراً.. أريد أن يكون حبنا حراً..

لم تنهِ كلامها، فكلماته قاطعتها:

ـ ما هذا الكلام؟ أنا أحبك وسأحبك دائماً.. قولي إنك ستتزوجينني.

استسلمت:

ـ أجل، سأتزوجك.

وأحست بوهج متألق من الفرح يغمر قلبها، غيرتها من صوفيا تتلاشى لتصبح لا شيء مع معرفتها أن درو يحبها وهذه المرة سيكون الحب إلى الأبد، كل مخاوفها القديمة، ريبتها، عدم ثقتها، برودتها، ستنهزم أمام قوة حبهما.

ابتسم درو، وانتصار أسود يلمع في عينيه:

ـ ظننت نفسي سأخوض معركة ثانية.

ردّت الابتسام:

ـ لم أحاربك يوماً..

ارتفع حاجباه الأسودان: لا؟

ـ كنت أنت دائماً غاضباً.

ـ إنها الغيرة.. ما إن رأيتك حتى أردتك، كنت خجولة جداً، وجميلة جداً.. يوم أوصلتك من منزل شيلي.. أتذكرين؟ لقد زرتها لأسألها عنك.. لم أستطع إخراجك من تفكيري لحظة.. وكنت أعرف أنني لن أستطيع استعجالك، وأن عليّ الانتظار إلى أن يكون لدي شيء أقدمه لك.. الرسم التوضيحي لغلاف كتابي كان الطريقة الأفضل للتعرف إليك دون إخافتك.

ـ أوه.. ظننت أن موهبتي هي التي دفعتك..

ـ كانت كذلك جزئياً.. أنت موهوبة فعلاً.. وعملنا معاً بروعة.. وهذه بشرى جيدة.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. تابع كلامك، لم أقصد أن أقاطعك.

أرادته أن يكمل حديثه عن حبه لها، فهي تحتاج إلى المزيد من الطمأنينة.

ـ لم أرغب في أن أستعجلك، لكن في كل مرة اقتربت فيها

مني، كنت أحترق شوقاً إليك، ورغم تجاوبك معي، إلا أنك كنت تصفعين وجهي بواقع أنني متزوج.. ولهذا كنت قاسياً. كنت أفقد السيطرة على نفسي.. سامحيني.

ـ أسامحك.. بالطبع أسامحك.. حين أتزوجك.. ماذا عن ويز؟

ـ ويز كان يمر في وقت صعب جداً.. وكان يعرف مشاعري نحوك.. وسيتجاوز المحنة.. لن أستطيع تركك.

اشتدت ذراعاه حولها، وأحست روندا بالتوتر في جسده، قالت بحزن:

ـ قال إنني أشبه صوفيا.

هزّ رأسه:

ـ لا.. أنت جميلة، حقاً جميلة.. أخبريني عن نينو.

ـ لم يكن بيننا سوى الصداقة.. كان تلك الليلة يواسيني. كنت أظن.. أظن أن إيڤا عشيقتك.

ـ إيڤا؟ رينيه سيقتلني لو وضعت إصبعاً عليها!

ـ أعرف، كان سخفاً مني.. أخبرتني اليوم عن زوجها وعن إقامتهما عندك.

ـ إنها صديقة طيبة وفية.. حين عدت إلى الكوخ ولم أجدك فقدت صوابي.. بدا لي أنك اختفيت دون أثر.. ويجب أن أتذكر شكر إيڤا التي جمعتنا مجدداً.

ـ بالحديث عن الشكر.. لم أشكرك أبداً لشرائك العلبة الفضية لي. إنها جميلة.. شكراً لك.

استجابته كانت فورية، شدها إليه فاعترفت مترنحة:

ـ أحبك درو.

رفع رأسه، قوة الشوق في عينيه أوقفت قلبها عن الخفقان.

- كنت على استعداد لانتظارك العمر كله. لن تعرفي أبداً كم أحبك.

ابتسمت له، عيناها رقيقتان جداً:

- أحب أن أعرف.

ضحك يضمها إليه ويرفع رأسها إليه.. وكان على وشك أن يجعلها تعرف.. لكنه أدرك أن أمامهما العمر كله ليعترف لها بما تريد.

* * *

www.rewity.com